العملاق الصيني
بين الماضي والحاضر

د. فوزي درويش



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : العملاق الصيني بين الماضي والحاضر

اسم المؤلف: د. فوزي درويش

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٢٢٤١٦

الطبعة الأولى ٢٠١٤



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت :

Tokoboko_5@yahoo.com

الفهرس

«بسم الله الرحمن الرحيم»

تقديم

دراسة الصين تلك الدولة ذات الحضارة القديمة لآلاف السنين تثير الاهتمام حقًا لتزايد أهميتها على المسرح الدولي على الصعيدين الاقتصادي والسياسي في الوقت الراهن .

ولقد دفعني إلى إعداد هذا البحث حاجة المكتبة العربية لمثل هذا المؤلف. رأيت لزامًا عليّ أن أقوم بتأليف كتاب عن تاريخ الصين تلك الحضارة التليدة . الأمر الثاني ذلك الصعود الصيني الهائل وخاصة في المجال الاقتصادي حتى تنبأ بعض كتاب الغرب بقولهم لقد شهدنا العصر البريطاني عقب حدوث الثورة الصناعية الأولى في الغرب في أواخر القرن الثامن عشر وما تبعه من عصر استعماري غربي كانت الصين إحدى ضحاياه . ثم أعقبه عصر القيادة الأمريكية. وهم يتساءلون: هل سنشهد عصرًا صينيًا.

ويقع هذا المؤلف في أربعة فصول:

أولها يتناول بقدر من الإيجاز تاريخ الصين القديم ، إذ أن تاريخ هذه الأمة القديم يستحق قدرًا أوفى بل مجلدات ، لكننا حاولنا الإحاطة بمعالم هذا التاريخ بما يوفر فرصة لتناول الموضوع بكامله، وهذا تناوله الفصل الأول.

أما الفصلان الثاني والثالث فتركزت الدراسة فيهما على تاريخ الصين الحديث.

وارتأينا أن نتحدث في الفصل الثاني عن الفترة من حرب الأفيون (١٨٤٠ – ١٨٤٢) وما قام فيها من ثورات على الاستعمار الغربي وحتى استيلاء الشيوعيين الصينيين على نظام الحكم وإعلان جمهورية الصين الشعبية. أما القسم الثاني من هذا التاريخ الحديث للصين فيتناول طبيعة العلاقة بين الصين وحليفها الإتحاد السوفيتي وكيف تطورت العلاقات بينهما حتى مرحلة اللا رجعة وأسبابها ،

وكيف تمكنت الصين من تفجير قنبلتها النووية الأولى عام ١٩٦٤، ثم تطورت علاقات الصين بالولايات المتحدة بعد عداء استمر ما يزيد عن عشرين عامًا، وأسباب ذلك، وكيفية حدوث الانفراجة في العلاقات.

بعد ذلك، عرض الفصل الرابع لتطور علاقات الصين ونبذ سياسة العزلة خاصة بعد عهد الزعيم ماو تسي-تونج على يد خليفته الرئيس دنج تشياو بنج حتى يومنا هذا، وكيف استفادت الصين من هذا الانفتاح، ومقومات نهوض الصين ومسألة تايوان. منذ عام١٩٧٨، كانت الصين على نحو متصاعد تسعى جاهدة إلى أن تكون عضوًا كامل الأهلية في المجتمع الدولي والتأكيد للغرب بأنها قوة مسؤولة لها مكانتها.

والله نسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل، وهو ولي التوفيق ،،،

المؤلف

الفصل الأول

موجز عن تاريخ الصين القديم

الفصل الأول

موجز عن تاريخ الصين القديم

مقدمة

لقد بدأت الصين الحصول على شكلها الحالي في عصور موغلة في القدم. فالنصر الذي أحرزه أول إمبراطور بها (كين شوانجدي) (Qin Shiuangdi)، وهو الاسم الغربي للصين والتى اشتق من أسرة كين (Qin). وكان ذلك العهد يمثل نهاية الدويلات المتحاربة (٤٧٥-٢٢١ ق.م)، حيث كانت هناك صراعات لا تنتهي بين عدد من الدويلات الصينية، الأمر الذي كان يشبه إلى حدٍ بعيد مرحلة تالية بالنسبة للتاريخ الأوروبي وبداية أسرة كين (٢٢١-٢٠٦ ق.م). ولكن بحلول عام ٢٠٦ ق.م كانت حدود إمبراطورية كين (Qin)، تضم الكثير مما نراه اليوم كقلب للأراضي الصينية، التي تمتد إلى فيتنام جنوبًا ثم تصل شمالاً حتى سور الصين العظيم بما في ذلك المنطقة كثيفة السكان بين نهرى اليانجتسي، والنهر الأصفر.

وبعد سقوط أسرة كين، استمرت الصين في الاتساع بسرعة أثناء أسرة هان (Han) (206 ق.م — ٢٢٠ م) محققة امتدادها الواسع في الفترة (١٤١ —٨٧ ق.م) حينما توغلت الجيوش الصينية حتى جنوب منشوريا، والخليج الكوري في الشمال الشرقي، وجنوبًا، وجنوب غربى حتى وصلت إلى شمال فيتنام. وخلال الألف سنة التالية، استمرت الصين في التوسع نحو الشمال، والشمال الشرقي بما كان يتفق مع حدودها الطبيعية التي تُحيط بها غابات الإستبس في الشمال والشريط الساحلي من الجنوب والشرق والمناطق الجبلية في جنوبها الشرقي.

وكانت هناك هجرات مكثفة بعد تحسن المواصلات. كما مرت الصين حينذاك بقرون من الوحدة ساعدت على دعم الثقافة الموحدة – مما كان يسمى

في ذلك بالكتلة السكانية الكبرى . ورغم أن عمر أسرة " كين " كان قصيرًا ، فإنها تمكنت من تشييد ما يزيد على ٤٠٠٠ ميلاً من الطرق الكبرى الواسعة ، كما كان عليه الحال بالنسبة للإمبراطورية الرومانية .

وهكذا نجد دولة مركزية ذات نظام للحكم الجيد ، ترتكز على تعاليم كونفوشيوس (٥٥١ – ٤٧٩ ق.م) مما كان له أكبر الأثر على الصينيين سياسيًا وأخلاقيًا لفترة تزيد على ألفى سنة . كذلك نجد العادات المميزة التي تتعلق بالصين - بما في ذلك تفويض السماء ، ولغة تستخدم علامات ومقاطع مشتركة، وعقيدة ترتكز على عبادة الأجداد – قد تأكدت في ظل أسرة كين (Qin).

وأثناء الألف الأولى بعد الميلاد ، كانت الصين وشعبها تمتلك شعورًا قويًا غير معتاد بشخصية ثقافية متميزة . وكانت أحد أبرز هذه الخصائص المميزة في التاريخ الصيني ، أنه رغم غزوها من الشمال مرات كثيرة – خاصة من جانب المغول في القرن الثالث عشر ، والمانشو في القرن السابع عشر – فإن كافة هؤلاء الغزاة فيما عدا المغول – حينما يستقر بهم المقام يجُدون في الحصول واكتساب العادات ، والقيم التي يمارسها الصينيون ، وأن يحكموا طبقًا لهذه المبادئ الصينية والمؤسسات الخاصة بهم، فكان ذلك دليلاً على المكانة التي كان يتمتع بها الصينيون، والاحترام التي تلقاه حضارتهم من جانب أضدادهم في الشمال[1] .

وإن ما كان يوصف أحيانًا بنهضة الصين قد شهد تطوير عمليات الاختبارات، واختراع البارود الذي استعملته البنادق ، والطباعة ، وانتشار الكتب وتقدم كبير في الرياضيات، والفلك والجغرافيا . كذلك تم اختراع آلات ضخمة للخياطة . وعلى النقيض من ذلك ، فإن النهضة الأوروبية بدأت بعد قرنين من الزمان بعد نهاية أسرة سونج الشمالية (Northern Song). وكان انتشار الكتب في ذلك الحين سبيلاً إلى ظهور الطباعة على قوائم خشبية ، فضلاً عن الأعداد المتزايدة لمن يجري ترشيحهم للدخول في امتحانات للخدمة

(1) M. Jacques, When China Rules the World, The End of the Western World and the Birth of New Global Order (P.P. 73-74).

المدنية . كذلك كان هناك تقدم كبير في الرياضيات (وبالخصوص التطورات التي حدثت لعلم الجبر). كذلك ظهور عدد من المدارس ، مما يشهد على أن الصينيين كانوا أكثر الشعوب تعلمًا للقراءة والكتابة ، حين كانت أوروبا أقل درجة من هذا التقدم الصيني . وكان على أوروبا حينذاك أن تستعين بما أحرزه الصينيون بشكل مكثف ، بما في ذلك صناعة الورق ، والبوصلة ، وعجلات الغزل والطباعة. وكانت الصين بدرجة كبيرة أكثر الحضارات المتقدمة في منطقة شرق آسيا. كما كانت تمارس نفوذًا ضخمًا على جيرانها . وكان الكثيرون منهم بمثابة دول تابعة للصين تدفع الإتاوات للإمبراطور الصيني ، كما تعتز بتفوق الثقافة الصينية.

غير أنه بعد حلول عام ١٣٠٠م بدأ هذا الازدهار يخبو، ومهد ذلك لفترة من الركود لم يصل إلى منتهاه سوى بحلول عام ١٥٠٠ م. وكان الغزو المغولي علامة على انتهاء فترة حكم أسرة سونج الأكثر ازدهارا ، وتولى أسرة يوان Yuan (1279- 1368) ، وضم الصين إلى الإمبراطورية المغولية. وأصبح ذلك بمثابة وضع صعب ، حيث وجد الصينيون أنفسهم تحت حكم أجنبي، وانخفض وضعهم إلى درجة تسيء إلى ما اعتادوا عليه من شعور بالعزة والتميز. وكان هناك أكثر من سبب لبطء العملية الاقتصادية. فالديناميكية التي توسعت بها الصين من المناطق الوسطى ناحية الجنوب كانت تتضمن إضافة أراضي خصبة أخرى ، لكن هذه المنطقة بدأت تمتلئ بالمهاجرين من الشمال .

ولكن التقدم الكبير في مجال العلوم بدأ هو الآخر يشهد انحسارا شديدًا. لذلك وضعت أسرة " سونج " أملاً كبيرًا على أهمية التجارة والاتصال بالأجانب وبالخصوص مع اليابان ، وجنوب شرق آسيا ، ومع شبه القارة الهندية ، وحتى مع الساحل الشرقي الأفريقي . ولكن هذه التوجهات انقلبت في ظل أسرة منج Ming (1368 – 1644). ففى عام ١٣٧١ حظرت أسرة منج على سكان السواحل الإبحار بسبب التهديدات التي وضعتها الأسرة نظرًا لظهور القرصنة اليابانية.(١)

(1) M. Jacques, Ibid. (P.P. 77-79)

وخلال القرون الثلاثة التالية ، منعت مجموعة من القيود التجارة الفردية ثم التجارة الحكومية . وبحلول عام ١٧٥٧ لم يكن هناك سوى كانتون الميناء الوحيد الذي تمر من خلاله التجارة المشروعة .

وعلى العموم ، فإن الاختلاف الصارخ بين أوروبا والصين لم يكن فقط في حركة التصنيع في كل منهما ، وإنما كان كذلك في حجم كل منهما ، وأسلوب الحكم فيهما . واستمرت هذه الفوارق لألفى سنة على الأقل وكانت آثارهما هائلة . وذلك هو الذي يفسر لنا كيف تعذر على أوروبا فهم الصين . فبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية ، لم تعد أوروبا تقع تحت حكم نظام إمبراطوري له القدرة على ممارسة السيطرة المركزية على قارة بأكملها. فقد كانت هناك سلطة سياسية لكل وحدة صغيرة الحجم -- سواء في مساحتها أم في عدد سكانها. وحتى بعد إيجاد نظام الدولة الحديثة ، ووحدة ألمانيا وإيطاليا ، بقيت أوروبا تتسم بانقسامها إلى عدد من الدول . أما بالنسبة للصين ، فهى على النقيض من ذلك قد حافظت على نظام الدولة الإمبراطورية الذي ظهر بعد التنافس بين الدول. لذلك كانت فترة الدويلات المتحاربة في الصين التي إنتهت في القرن الثالث قبل الميلاد . لذلك فإنه بمرور الوقت ظهرت سلسلة من الأشكال المختلفة للدولة، بما في ذلك حالة أسرة المغول برئاسة أسرة يوان Yuan (1279 - 1368) ، والمانشور تحت أسرة كينج (١٦٤٤ - ١٩١٢)، ومختلف مراحل الحكم الأجنبي .



انفجار داخلي –وغزو خارجي

لقد بدأت المشكلات التي واجهت أسرة كينج (١٦٤٤-١٩١٢) تتصاعد حدتها في العقود الأولى من القرن التاسع عشر. وكان أولها هزيمتها على يد بريطانيا، فيما سمى بحرب الأفيون الأولى (١٨٣٩-١٨٤٢)، ثم تصاعدت الصعوبات الاقتصادية أمام أسرة كينج (Qing) التي شهدت في الداخل سلسلة من الثورات، كما تمثلت في أربعة انتفاضات كبرى: تمثلت في تمرد إسلامي في إقليم يينان (Yunnan) في الجنوب الغربي من البلاد (١٨٥٥-١٨٧٣)، وتمرد إسلامي آخر من جانب الأتراك في الشمال الغربي من البلاد (١٨٦٢-١٨٧٣)، وتمرد آخر من جانب مجموعة ناين (Nien) في الشمال (١٨٥٣-١٨٦٨)، وانتفاضة التايينج Taiping (1850-1864). وكانت أخطر هذه الانتفاضات هى انتفاضة "التايينج.

ولما اهتزت الثقة في النظام الإمبراطوري لانهزامه على أيدي البريطانيين في حرب الأفيون، مع تكاتف فيضانات خطيرة، وانتشار مجاعة أصابت البلاد فى الفترة (١٨٤٨-١٨٥٠)، أصبحت الظروف مواتية لحركات التمرد. وقد بدأت انتفاضة التايينج في جنوب الصين، حتى صارت تهدد بكين. ولقد ذهبت التقديرات إلى أن هذه الانتفاضة قد أسفرت عن مابين ٢٠-٤٠ مليون شخص الضحايا. وكانت هذه الانتفاضة مكونة من عناصر مناهضة لعنصر المانشو. وقد كانت أسرة كينج (Qing) ذاتها وافدة من منشوريا، وظلت ما تمخضت عنه هذه الانتفاضات غير محسومة لعدد من السنوات. ولكن هذا التمرد تم سحقه بتجنيد جيوش جديدة من جانب أسرة كينج، ودعم من جانب القوات البريطانية والفرنسية.

وعقب هزيمة انتفاضة التايينج، فإن حرب الأفيون الأولى التي فشلت أسرة كنج في مقاومة المطالب البريطانية بالسماح باستيراد الأفيون الذي تتم زراعته في الهند، فإن ذلك أدى إلى إبرام معاهدة نانكنج. وكانت هذه المعاهدة في حقيقة الأمر أول ما أطلق عليه بعد ذلك " بالمعاهدات غير المتكافئة " (Unequal Treaties)، والتي أسفرت عن فرض تعويضات، وفقدان

هونج كونج ، وإيجاد أربعة " موانئ معاهدات "، تمتعت فيها بريطانيا بامتيازات خاصة.(1)

أزمة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والعالم الخارجي

هناك عقبتان وقفتا في سبيل انفتاح الصين على العالم الخارجي ، وهما مراسم " الكاو - تاو"، ومسألة الاختصاص القضائي ، بمعنى مدى امتداد قوانين الدول الأجنبية وتطبيقها على المنازعات التي تتم في أراضي الصين ، والمفترض أن تخضع للتشريعات الصينية .

(أ) مراسم الكاو-تاو

لقد حيرت مراسم " الكاو -تاو " الأجانب في استيعابها وهى المثول أمام الإمبراطور الصيني بكيفية خاصة وسبب هذه المشكلة رفض المسؤولين الصينيين الاعتراف بالدول الغربية على أنهم أنداد لدولة الصين . فقد ظلت الصين على مدار آلاف السنين مملكة مركزية تحتفظ بعلاقات دبلوماسية بكيفية ما مع دول كلها تابعة لها، أو دول تدفع لها الجزية . ورغم ما مُنيت به الصين من هزائم ، وما حل بها من كوارث، وما عقدته من معاهدات مهينة غير متكافئة في السنوات من (١٨٤٢-١٨٦٠) ، فقد رفض الصينيون مثل هذا الاعتراف . ولقد تمثل ذلك بصورة حية فيما أطلق عليه بمشكلة "الكاو -تاو " أى السجود أمام الإمبراطور لدى المثول أمامه.

ولقد سببت هذه المشكلة قدرًا كبيرًا من القلق للدبلوماسية الغربية منذ أول لقاء ، فقد أصرت الصين على أن يؤدي الدبلوماسيون الغربيون مراسم الكاو - تاو تأكيدًا لتفوقها على حكامهم . وتقضي هذه المراسم بأن يسجد الممثل الأجنبي ثلاث مرات أمام الإمبراطور . ولما كانت نظم الحكم في البلاد الأوروبية تعترف بالمساواة بين جميع الدول تطبيقًا لأحكام القانون الدولي العام بصرف النظر عن حجم الدولة ، فلقد كان من الطبيعي أن ترفض دول مثل فرنسا أو بريطانيا السماح لممثليها بالسجود ثلاث مرات أمام الإمبراطور .

(1) M. Jacques, Ibid. (P.P. 86-87).

على أنه ابتداءً من عام ١٨٧٣ أصبح المسؤولون الصينيون في هذا المجال يتجنبون طلبات المثول بين يدى الإمبراطور بالنسبة لممثلي الدول الغربية متعللين بأن الإمبراطور " تونج شيه " لم يبلغ بعد سن الرشد . فلما بلغ سن الرشد صار هناك تحول في مسألة المثول بأن يكون بالركوع ثلاث مرات بدلاً من السجود. وعلى آية حالٍ، فإنه لم يتم التصريح للمبعوثين الدبلوماسيين الأجانب بالمثول بين يدى الإمبراطور " كوانج – هو" حتى عام ١٨٩١ لأنه كان لا يزال قاصرًا، ولم يُمنح تصريح رسمي للمثول بين يدى الإمبراطور إلا في عام ١٨٩٣.[١]

(٢) الاختصاص القضائي

لقد كان المظهر الذي يجعل من الصين شبه مستعمرة يتجسد فيما سمى بحق امتداد القوانين (Exterritorialité) بالنسبة للقناصل الأجانب حين يقومون بالفصل في المنازعات بين رعاياهم المقيمين في الصين. ونجد بريطانيا على سبيل المثال قد زودت قناصلها في الصين بسجون خاصة، وشرطة مخصصة لهم. ولكن الولايات المتحدة فشلت في تعزيز مركز ممثليها القنصليين في هذا المجال ، وعرف بوجه عام عن القضاء الأمريكي في الصين سوء السمعة طيلة الجزء الأكبر من القرن التاسع عشر .

وفي عام ١٨٦٤، تم إنشاء محاكم مختلطة في شنغهاى من أجل النظر في القضايا التي تشمل عناصر أجنبية ، وعناصر وطنية. فكان يجلس نائب عن الحاكم الصيني إلى جانب القاضي الأجنبي في الأحياء التي تتسم بسمة "الدولية" لتحري العدالة في القضايا التي يكون أحد أطرافها من أهل الصين. ولقد نصت اتفاقية " شيفو" لعام ١٨٧٦ على أن يطبق عند نظر هذه القضايا القانون الذي يمثله القاضي المنوط به إصدار الحكم في القضية ، وكانت جنسية المدعي عليه في هذه الحالة هى التي تحدد أى القوانين يكون واجب التطبيق .

(١) الشرق الأقصى ، مرجز تاريخي تأليف:Chester Bain ، ص ٨٤.

المسلمون في الصين :

(١) كيف دخل الإسلام إلى الصين :

كانت واقعة القادسية (٦٣٦م) قد هددت حياة الإمبراطورية الساسانية العتيدة من أعماقها، ثم كان انتصار العرب في نهاوند (٦٤٢م) قد قوض دولة كسرى إلى غير رجعة. وفر يزدجرد ، آخر الملوك الساسانيين إلى بلاد الصين ، وكان ذلك من جهة أخرى نذيرًا للإمبراطور الصيني " تانج – جونج " في عصر أسرة " تانج " العظيمة – برياح الزحف العربي المنطلق من شبه الجزيرة العربية باتجاه منطقة الشرق الأقصى.

ولقد تمثل هذا الزحف الإسلامي في حملة قُتيبة من رجال الحجاج بن يوسف الثقفى والي العراق. فقاد قُتيبة قوة من العرب إلى خراسان ، ثم إندفع إلى ماوراء النهر ضد الأتراك ، وتقدم نحو بيكند ، وفتح كلاً من مدينة صغد ، ورامتين ، وبخاري ، ووراردن ، وكش، وسمرقند ، وفتح قُتيبة هذه المدن وهو متجه صوب مدينة كاشغر أقرب مدن الصين إلى تلك المناطق. وأسس قُتيبة في مدينة بخاري مسجدًا معروفًا باسم مسجد قُتيبة عام ٧١٤م ، ولا يزال هذا المسجد باقيًا حتى يومنا هذا .

ولقد عمد قُتيبة إلى إجازة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية لما رأى صعوبة فهم معانيه بلغته الأصلية. وصار سكان بخاري يفهمون معاني القرآن باللغة الجديدة فهمًا كاملاً. ولقد أفادت هذه الطريقة – التي تعتبر من أحدث أساليب التبليغ إفادة عظيمة في نشر الإسلام في بلاد التتار العليا التي انتشر الإسلام منها في الأيام اللاحقة إلى تركستان الصينية ومنها إلى شمال غرب الصين.(١)

على أن قُتيبة لما فرغ من تنظيم سمرقند وبخاري زحف بجيوشه نحو خوقند، ثم توجه نحو الشرق عبر مضيق " تيرك " حتى دخل مدينة " كاشغر "

(١) بدر الدين حسن الصيني، العلاقات بين العرب والصين ، صص ٢٦ – ٢٧.

فاتحًا في ٩٥هـ. ولما كان منهج العرب في غزواتهم أن يعرضوا على أهل البلاد إما الدخول في دين الإسلام، أو دفع الجزية، فقد فعل ذلك قُتيبة بن مسلم مع إمبراطور الصين " يوانج شونج" (٧١٣–٧٥٥م). وفي هذا يقول إبن الأثير ما ملخصه " .... في سنة ٩٦هـ (٧١٥م) غزا قُتيبة بن مسلم "كاشغر"، وحمل مع الناس عيالهم ليضعهم بسمرقند، فلما عبر النهر استعمل رجلاً على المعبر ليمنع من يرجع إلا بجواز منه، ومضى إلى فرغانة، وأرسل إلى شعب عصام من يسهل الطريق إلى كاشغر وهى أقرب مدن الصين، وبعث جيشًا تحت قائد كبير إلى " كاشغر "، وختم أعناق أهلها، ثم أوُغل حتى قرب الصين، فكتب إليه ملك الصين يقول: " ابعث إلىّ رجلاً شريفًا يخبرني عنكم وعن دينكم". وعمد قُتيبة إلى انتخاب عشرة من خيرة رجاله وأمر لهم بعُدة حسنة، وألبسةٍ من الخز والوشى، ومن الخيول وقال لهم :" إذا دخلتم عليه فأعلموه أنى قد حلفت لا أنصرف حتى أطأ بلادهم، وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم. فساروا إليه وعليهم هُبيرة بين مشمرج، وحضروا عند الإمبراطور ثلاث مرات. ولبسوا في كل مرة ملابس تختلف عن المرة الأخرى. ففى المرة الأولى لبسوا ثيابًا بيضاء تحتها الغلائل، وتطيبوا، ولبسوا النعال والأردية، وفي المرة الثانية، لبسوا الوشى والعمائم، والخز والمطارف، وفي الثالثة، شدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر، وأخذوا السيوف والرماح، والقسى، وركبوا خيولهم.

وتعجب إمبراطور الصين من هذا وسأل هُبيرة عن سر التنوع في لباسهم فقال :" زينا الأول هو لباسنا في أهلنا، وفي اليوم الثاني، لباسنا أمام أمرائنا، وفي اليوم الثالث كان زينا أمام عدونا". فقال الإمبراطور: " ما أحسن ما دبرتم دهركم"، فقولوا لقائدكم ينصرف، فإني قد عرفت قلة أصحابه – وإلا لبعثت إليكم من يهلككم. فردوا عليه بالقول :" كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادكم، وآخرها في منابت الزيتون، وأما تخويفكم إيانا بالقتل، فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، ولسنا نكرهه ولا نخافه. وقد حلف قائدنا ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية ".

ورد الإمبراطـور :" أن نبعـث إليـه تـراب أرضـنا فيطـؤه ، وبعـض أبنائنـا فيختمهم ، وجزية يرضاها ، وبعث إليه بهدية وأربعة غُلمان من أبنـاء ملـوكهم ، ثم أجازهم فأحسن الجزاء. ولقد رضي قُتيبة بهدية الإمبراطـور حيـث كـان قـد بلغه خبر وفاة الوليد بن عبـد الملـك ، وبيعـة أمـراء دمشـق لـسليمان الـذي تـولى الخلافة الأموية لفترة وجيزة .

وعلى أية حالٍ ، فقد كان مقتل قُتيبة بـن مـسلم إيـذانًا بـضعف الإسـلام فـيما وراء النهر ، وإثارة الخلاف والشقاق بين صفوف المسلمين، وتوقفـت فتوحـات المسلمين إلى الشرق الأقصى بسبب مقتـل هـذا القائـد الهُمام ، فتخلـصت الـصين من حملة العرب عسكريًا، ولكنها لم تستطع مقاومة الدين الإسـلامي الـذي كـان ينتـشر بـسرعة إلى أواسـط آسـيا ، فـدخل الـصين ليـستقر في مناطقهـا الغربيـة والشمالية .

بعد ذلك ، اقتصر النفوذ الإسلامي على مد يد العون إلى أحد أباطرة الـصين في عهد أسرة تانج وهو الإمبراطور " سـو –تـسونج " (Su-Tsung) في عـام ٧٥٤م. وأتى هـذا العون من جانب الخليفة جعفر المنصور لقمع ثورة عارمـة في داخـل الـصين سـميت بثـورة " آن –لوشـان " (An-Lushan) كـادت أن تقوض دعائم دولة " تـانج" وتقـضي عليهـا قـضاءً مبرمًـا . ومـن المعلـوم أن أبـا جعفـر المنصور قـد تـولى الخلافـة بعـد أخيـه الـسفاح في عـام ١٣٦هــ (٧٤٥م)، وتصادف قيام هذه الثورة في الصين لولا معونة الخليفة المنصور ، وإسهام شعب الأواغـرة المـسلمين في قمعهـا . وقـد يكـون مـن المناسـب الإشـارة إلى شـعب الأواغرة من المسليمن الذين يتركز وجودهم في غربي الصين .

والأواغرة شعب جديد ، تفرع عن التتـار في أوائـل القـرن الثـامن الميلادي. ولقـد أسـلم رئيـسهم بعـد قـدوم قُـتيبة إلى تلـك المنطقـة بـزمن قليـل. وتُحـدثنا المؤلفـات الفارسـية عـن قـصة إسـلام رئيـسهم هـذا ، ويُدعـى " أويغـور" بـن قراخان بأنه أسلم سرًا هو وأمه ، فغضب أبـوه حـين علـم بـذلك وحـشد جيـشًا لمقاتلته – إلا أن أنـصار " أويغـور " الـذين اشـتهروا بـالأويغيرين صـاروا شـعبًا

قوى الشكيمة كوَّن علاقات سياسية مع الصينيين بعد العرب .

على أنه لما تم قمع ثورة " آن – لوشان" كما أسلفنا بصفة نهائية عام ٧٥٧م بفضل هؤلاء الأواغرة والعرب خَيَّرهم الإمبراطور الصيني " سوت – سونج" بين العودة أو الإقامة . وتروى بعض المصادر أن العدد الإجمالي لهذه الحملة كان يتألف من عشرين ألف مقاتل ، ولقد أورد الشيخ بيرم التونسي (المتوفى عام ١٨٨٩) في مؤلفه (صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار) " أن أصل المسلمين في الصين ، وهم ينيفون على الستين مليونًا من السكان والعساكر المسلمين الذين جلبهم ملك الصين في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور حيث ثارت عليه رعاياه ، فاستنجد بالخليفة على أن يؤدي معلومًا إذا أنجده ، فأرسل إليه أربعة آلاف من صناديد المسلمين ، وقهر بهم رعاياه ، وجازاهم على ذلك بجواز الإقامة في مملكته .... الخ ".[١]

(٢) تطور أوضاع المسلمين في الصين

كان من نتيجة دخول الإسلام إلى الصين سنة ٦٥١ في عصر أسرة "تانج" ، انتشار إقامة المساجد ، وإدخال اللغتين العربية والفارسية ، ووجود مصاهرة بين العرب والمسلمين مع أهل البلاد الأصليين حتى كونوا في نهاية الأمر نوعًا جديدًا من النسل لم يكن مألوفًا في الصين .

ومن يبحث عن أصول المسلمين في شمال الصين وغربها يرى هناك ثلاثة أجناس من المسلمين : جنس فيه الدم العربي ، وجنس آخر تجري في عروقه دماء الأواغرة ، وجنس ثالث فيه دم المغول . ويلاحظ أن أحسن هذه الأجناس صورة ، وأطولهم قامة هم الذين ينتمون إلى العرب ، ثم الذين يمتزجون بدم الأواغرة ، ويتميز هؤلاء بطول القامة ، وقوة الأعصاب ، وشموخ الأنف ، واستطالة الرأس ، وكثافة اللحية ، واتساع الجبين ، واتساع العيون ، وهم أقرب شبهًا بسكان شمال الهند ، وجنوب أفغانستان أو بخارى ، وهم أشد هذه العناصر تمسكًا بأحكام الإسلام ، وأكثرهم حبًا للغة العربية ، كما يوجد بينهم

---

(١) بدر الدين حسن الصيني، نفس المصدر ، ص ٤٠.

العلماء الكبار الذين يجيدون فهم الفقه والحديث .

وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام بعد وصوله إلى الصين عام ٦٥١م تعرض لفترات من الصعود والهبوط منذ عصر أسرة " تانج" التي تولت مقاليد الحكم في الصين ٦١٧م (أي بعد النبوة بست سنوات). وأخذ الإسلام ينتشر رويدًا رويدًا في عصر أسرة "سونج" التي انقرضت عام ١٢٧٦م ، ثم قوى وأزدهر في عصر أسرة "يوان" أو ما سمى بعصر المغول في الفترة (١٢٧٧ – ١٣٦٧) وعصر " منج" في الفترة (١٣٦٨ – ١٦٤٢) أما في عصر المانشو (١٦٤٤ – ١٩١١) ، فقد لحقت بالمسلمين الكوارث ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت إذ هلك في هذا العصر عدة ملايين ، ومن تبقى منهم على قيد الحياة لم يتم السماح له بتنفس نسيم الحرية ، ووضعت أمامهم العراقيل نحو التقدم اقتصاديا، واجتماعيا ، ودينيًا ، ومعنويًا، فقد عمد طغاة ذلك العصر إلى كبت أنفاسهم ، وإن كانوا لم يحرموا من التردد على المساجد لأداء شعائر دينهم ، واستمر حال المسلمين على هذه الحال المظلمة حتى حدثت ثورة ١٩١١م التي أطاحت بحكم المانشو .

أما تاريخ إنشاء المساجد في الصين ، فإنه يرجع إلى عام ٧٤٢م ، وهي السنة التي أُسس فيها أول بيت من بيوت الله في مدينة " جانج –آن " (عاصمة الصين حينذاك). ثم تم بناء مسجد آخر في كانتون ، ثم ثالث في نانكين. وهذه المساجد الثلاثة بُنيت في عصر أسرة " تانج" إلا أن الطفرة التي يجدر الإشارة إليها في تقدم الإسلام كانت على وجه الخصوص في عصر المغول – إذ انتشر الإسلام بسرعة البرق في ولايات الصين حتى وقف المحللون حيارى في تعليل هذه الظاهرة . ويكفي أن بعض المصادر الوثيقة مثل " مؤلف جامع التواريخ " لرشيد الدين فضل الله ، أنه كانت هناك ثمانية ولايات من بين اثنتي عشرة ولاية من ولايات الصين في ذلك العهد كان عليها حكام مسلمون ، وذلك بخلاف وزير المالية الذي كان يُسمى شمس الدين الملقب " بالسيد الأحل" ، ووزير الحربية علي يحى الأيوغري .

وظل الإسلام مزدهرًا حتى بعد زوال الدولة المغولية من الصين ، ذلك أن كثيرًا من زعماء المسلمين قد اشتركوا مع الوطنيين في الإطاحة بالدولة المغولية ، ولم يتوقف مد الإسلام إلا بعد انتهاء عصر أسرة " منج" بسبب انعدام العوامل المشجعة التي توفرت في عصر المغول ، أو حتى في عصر "منج" بسبب نفور حكام المانشو من وجود المسلمين في الإدارات الحكومية واضطهادهم لهم.

ولقد أصبح الإسلام في الصين بعد عصر " منج" محرومًا من المؤثرات الخارجية مثل التجارة ، وزيارة السفراء – إلا أن إرادة الله الذي لا راد لقضائه ولا مُعقب لحكمه شاءت أن يحفظ ما تبقى من المسلمين هناك بسبب ازدياد نسلهم نتيجة تحريم الإسلام للمخدرات ، تلك المخدرات التي نشرتها بريطانيا بين أهالي الصين، والتي سُميت فيما بعد بحرب الأفيون (١٨٤٠ – ١٨٤٢) ، فلم يدمن المسلمون كغيرهم تعاطي الأفيون الذي تسبب في ضعف من سواهم من الصينيين الذين ضعفت صحتهم ، واضطربت أعصابهم وصاروا أقل نسلاً، وأتتهم الآفات من حيث لا يشعرون .

ومن الرحالة الذين زاروا الصين وكتبوا عن أحوال سكانها الرحالة الإيطالي "ماركو بولو" الذي أقام في الصين في الفترة من ١٢٧٥ – ١٢٩٩م، وقد دون هذا الرحالة في مذكراته :" إن غالبية السكان من مناطق الصين الشمالية الغربية من الوثنيين، ولكن بعضهم يعتنق الإسلام ، والبعض الآخر يعتنق المسيحية ".

أما الرحالة العربي " ابن بطوطة " فقد زار الصين في الفترة من ١٣١٤ – ١٣٢٥م . ويذكر :" أن جميع أهل الصين كفرة ، وإنهم يعبدون الأصنام ويحرقون جثث موتاهم كما يفعل الهندوس ، وأن إمبراطور الصين من التتار ، وهو من أحفاد "جنكيز خان" الذي غزا الدول الإسلامية ، وأشاع في ربوعها الخراب والدمار. وتوجد في كل مقاطعات الصين مدينة يتجمع فيها المسلمون، حيث يزاولون أعمالهم العادية. وللمسلمين في تلك المدن مدارس ومساجد خاصة بهم ، ولهم اعتبار مرموق في نظر إمبراطور الصين. وعندما يفد تاجر منهم على إحدى هذه المدن الإسلامية يُترك له الخيار بين الإقامة كضيف على

الأهل أو النزول في أحد الفنادق. ويبلغ عدد مساجد الصين ما يقرب من ٤٠٠٠ مسجد طبقًا لما ذكره الأستاذ " برمهول " في كتابه (Islam in China).[١] وتكاد تتفق غالبية الآراء على أن عدد المسلمين في الصين يزيد قليلاً عن عشرة ملايين نسمة يقطنون غالبيتهم في المقاطعات الشمالية الغربية ، والمقاطعات الجنوبية الغربية .

ومن المآثر التي يذكرها الصينيون للمسلمين أنه كثيرًا ما كانت المجاعات تجتاح بلاد الصين ، فيضطر الآباء إلى بيع أبنائهم في الأسواق ، فيسارع المسلمون إلى شرائهم وتربيتهم على الإسلام ويعاملونهم معاملة كريمة. وقد حدث ذلك مرارًا منذ القرن الثامن عشر . وفي عام ١٩٠٠م عندما لقى المسيحيون الاضطهاد على أيدي حركة "الملاكمين" في الصين عمد بعض المسيحيين إلى بيع أبنائهم ، فلم يجدوا من يتقدم لشرائهم غير المسلمين لدوافع إنسانية محضة.[٢]

المسيحية في الصين

لقد قدمت المسيحية إلى الصين منذ تاريخ موغل في القدم. ويرجع ذلك إلى أن الكنيسة المسيحية في منطقة بلاد الرافدين التي كانت تعتنق المذهب النسطوري (Nestorius) الذي انفصل عن روما ، كانت تفرض سيطرتها على منطقة آسيا الوسطى، وفي عام ٦٣٥ م وصل إلى مدينة تشنجا نجان (Tchang - Nagan) التي كانت عاصمة إمبراطورية أسرة تانج أحد الرهبان الذي قام بتأسيس كنيسة في بلاد الصين تحت حماية الحاكم الصيني (Tai-Song) وأمكن لهذه الكنيسة أن تهيمن مذهبيًا على منطقة آسيا الوسطى .

وهناك نقوش محفورة على أحد الأحجار في" تشنجا نجان" مؤرخة ٧٨١م تحكي قصة المجتمع النسطوري الذي أسدى إلى أباطرة أسرة "تانج" مآثر عديدة . على أن البابا نيقولا الرابع ، لما علم بأمر وجود المسيحيين في تلك

---

(١) محمد محمود زيتون ، الصين والعرب عبر التاريخ، ص ٥٢.

(٢) محمد محمود زيتون ، نفس المرجع ، ص ٥٢.

البقعة بادر بإرسال أحد رهبان الفرنسيسكان يُدعى "جان مونت كورينو" (Montecorino)، الذي قام بتأسيس كنيستين أخريين، وقام بتعميد ٤٠ عبدًا تم شراؤهم لهذا الغرض، ثم قام هذا الراهب بعد ذلك بإدخال ما يزيد عن عشرة آلاف من التتار في العقيدة المسيحية .

وبعد انقضاء ثلاثة قرون من ذلك التاريخ قام مبشرو الجزويت بجهود تبشيرية على يد المبشر المشهور " فرانسوا زافييه" (Francois Xavier) وقد توفى فرانسوا في أحد الجزر بالقرب من " كانتون " دون أن يتمكن من أن يدخل في الدين المسيحي من بين الصينيين سوى شخص واحد هو خادمه أنطونيو.[1] ولكن في عام ١٥٨٢ قدم اثنان من المبشرين المسيحيين هما " فالجاني ، وروجيري" إلى الصين مُتخفين في زى الرهبان البوذيين حاملين بعض الهدايا ، وتمكنا من بناء كنيسة بعد أن تمكنا من الحصول على مدينة صغيرة في مدينة " تشاو–تشو"، ثم ما لبثا أن لحق بهما " ماتيو ريشي" (Matteo Ricci) الذي قرر الوصول إلى بكين ، والتي وصلها في عام ١٥٩٨ حاملاً معه مجموعة من الساعات والآلات العلمية.

ولقد تمكن "ريشى" في عام ١٦٠٠ من الحصول على إذن بالإقامة في بكين حيث عاش لمدة عشر سنوات ، وما لبث أن اقتفى أثره عدد آخر من المبشرين الجزويت من الألمان والأسبان. وكان أسلوبهما هو العمل على نشر المسيحية دون مهاجمة الكنفوشية من الأمام ، وتبريرهم لذلك أنه ليس هناك بالضرورة تعارض بين المذهبين حيث قال أنه يمكن النظر إلى شعائر الأسلاف التي ترتكز عليها الكنفوشية بمثابة نوع من المراسم لا علاقة لها بالعقيدة الدينية، ومن ثم يمكن التوفيق بين الكنفوشية والمسيحية.

وفي بداية القرن التاسع عشر ، استقرت بعض الشركات التجارية في بعض الموانئ التجارية الصينية ، فكان ذلك سبيلاً لتهيئة وضع أفضل للمبشرين ، لمباشرة نشاطهم. ومن ذلك أنه قدم إلى كانتون أحد المبشرين البروتستانت،

(1) De Beauvoir. S. La Longue Marche. P.483.

وهو " روبرت موريسون" عام ١٨٠٧، وحصل على وظيفة مترجم في شركة الهند الشرقية، وظل في هذه المدينة لمدة سبعة وعشرين عاماً ترجم خلالها إلى اللغة الصينية عددًا من الكتب المسيحية، ولكنه لم يتمكن من إدخال أكثر من عشرة من الصينيين إلى الديانة المسيحية. (١)

التشتت العنصري وأثره في إعاقة نهضة الصين الحديثة

من خلال عملية للمقارنة بين العملاقين الصيني والياباني نرى ظاهرة أثرها الواضح في مسيرة الصين نحو نهضتها الحديثة بخلاف الحال بالنسبية لليابان وهذه الظاهرة هى ظاهرة تشتت العناصر السكانية بالنسبة للصين. فقد جابهت الصين مشكلة تماسك عناصرها السكانية، وخاصة ما عُرف في التاريخ الصيني باسم "الأقليات الوطنية "، إذ كان من بين نحو ٦٠٠ مليون نسمة يمثلون تعداد سكانها في الماضي تنتمي الأغلبية الكبرى إلى عنصر " الهان" (Han)، ولكن كانت هناك مجموعة يبلغ عددها نحو ٣٥ مليون نسمة في تلك الآونة قدموا من مواطنهم الأصلية في المناطق القاحلة ، والأكثر صعوبة. وكانت تجري معاملتهم بدرجة ما من الاحتقار من جانب العناصر الصينية الأخرى.

وكان "الهان" يعتقدون أن هناك ثلاثة كائنات حية تعيش في الصين هى: " الهان"، والبرابرة (Barbares)، والحيوانات. وكان المغول والأوجور (Ouighours)، و"المياو" ، وأهل التبت من البرابرة . وهذه الأقليات في رد فعلها إزاء هذا الكبت الواقع عليهم في ظل كافة نظم الحكم الصيني شكلت جيوبًا للمعارضة والتمرد. فكان هناك ٤٤ جيبًا من هذه الجيوب تتحدث ١٣ لغة، منها ٤ لغات مكتوبة فقط. ومن هذه الجيوب المعارضة ، كان هناك ١٨ جيبًا في المنطقة الشمالية الغربية من البلاد. وتضم مقاطعة "سينكيانج" وحدها ١٢ جيبًا ، كما تضم المنطقة الشمالية الشرقية من الصين ٢٠ جيبًا يحتوى ١٢ مليونًا من البشر. أما بقية هذه الجيوب ، فهى مبعثرة في طول الصين وعرضها،

(1) De Beauvoir.S. Ibid. P.386.

ويقطن البعض الآخر في أماكن كانوا قد نزحوا إليها، واختلطوا بعناصر " الهان". ومن ناحية أخرى نجد اللهجات المستخدمة بين أهل الشمال تنتمى إلى مجموعة لغات مختلفة هى " الألتاى" (Altai)، كما أن أغلبية هذه الشعوب ظلت تحت نظام قبلي بدائي ، في حين أن نظام الرق لم يكن لوقت قريب قد تم إلغاؤه تمامًا على الأقل في أعقاب الحرب العالمية الثانية. (١)

وأبرز المناطق التي تضم هذه الأقليات، هى منطقة الشمال الغربي، إذ نجد مقاطعة سينكيانج التي يسكنها بالأخص الأوجور ، والمغول قد قامت بثورة ضد "تشيانج كاى شيك " عام ١٩٤٤ ، وأقامت جمهورية مستقلة ، وأسمت نفسها " جمهورية تركستان الشرقية" . ولكن هذه الجمهورية انضمت بعد ذلك إلى الصين الشيوعية عام ١٩٥٠، واحتلها الجيش الشيوعي الصيني سلميًا. وهذه المقاطعة الواسعة التي تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا تضم نحو ٤٫٧٨٠٫٠٠٠ نسمة. وكذلك سوف نجد أن على الصين في مستهل نهضتها الحديثة أن تسعى إلى إحكام قبضتها على هضبة التبت التي يرجع تاريخها مع الصين إلى القرن التاسع الميلادي، حيث كان أحد ملوك التبت قد تزوج من إحدى أميرات أسرة "تانج" الصينية".

هذا بالنسبة للصين بعكس ما تمتعت به اليابان بدرجة عالية من التجانس العنصري بصرف النظر عن عدد السكان حيث تشكل في اليابان في مستهل نهضتها دخولها بسرعة ملفتة للنظر إلى العصور الحديثة فيما أطلق عليه " الأوليجاركية" العسكرية والمالية الضيقة" متجهةً كلها في اتجاه واحد ، وقد ساعد على ذلك بدون شك التجانس بين عناصر الأمة من ناحية، وعدم تشتتها من ناحية أخرى.

---

(1) De Beauvoir.S. Ibid. P.P. 351-353.

الفترات الكبرى للصين الإمبراطورية

زهو الشرقية (Eastern Zhou)	٧٧١–٢٥٦ ق.م.
الدول المتحاربة (Warring States)	٤٠٣–٢٢١ ق.م.
كين (Qin)	٢٢١–٢٠٦ ق.م.
هان (Han)	٢٠٦ ق.م.–٢٢٠م
تانج (Tang)	٦١٨–٩٠٧
سونج الشمالية (Northern Song)	٩٦٠–١١٢٥
سونج الجنوبية (Southern Song)	١١٢٧–١٢٧٩
يوان (مغول) (Yuan - Mongols)	١٢٧٩–١٣٦٨
منج (Ming)	١٣٦٨ - ١٦٤٤
كنج (مانشو) (Qing - Manchu)	١٦٤٤ - ١٩١٢



الفصل الثاني

تاريخ الصين الحديث (الفترة الأولى)

الفترة الأولى

من ١٨٤٠ م حرب الأفيون – حتى استيلاء الشيوعيين على السلطة ١٩٤٩

الفصل الثاني

تاريخ الصين الحديث

(الفترة الأولى) من (١٨٤٠ - حرب الأفيون) حتى بداية الانفتاح الأمريكي مع الصين

تمتد هذه الفترة نحو ٨٠ عامًا، وتعتبر مرحلة هامة، حيث بدأت فيها حرب الأفيون (١٨٤٠) وحركة الرابع من مايو، رابع الحركات التحررية.

ففي أثناء هذه الفترة انتهت كذلك فترة حكم أسرة " كنج"(Qing) ، وبدأت جمهورية الصين، وهى فترة شهدت قدوم الإمبريالية الغربية من الخارج، والإقطاع من الداخل مما جعلتا من الصين شبه مستعمرة مع حكم داخلي أشبه ما يكون بالإقطاعي .

وهى أيضًا فترة بدأ الشعب الصيني فيها نضالاً بطوليًا ضد الإمبريالية ، وأذنابهم في الداخل. فبعد عام ١٩١٩ أصبحت قيادة الثورة الديمقراطية قد تسلم قيادتها طبقة البروليتاريا وحزبها السياسي، وكثيرًا ما سميت هذه الفترة السابقة على ١٩١٩ بأنها ثورة الديمقراطية القديمة، والفترة التالية لها أي بعد عام ١٩١٩ بفترة الديمقراطية الجديدة.[1]

أولاً : حرب الأفيون

حظر الأفيون.

من المعروف أنه قبل العقد الزمني الرابع من القرن التاسع عشر ، كانت بريطانيا أكبر دولة رأسمالية متطورة على مستوى العالم. وبعد أن أحكمت بريطانيا قبضتها على الهند، سارعت باستهداف الصين باعتبارها الهدف التالي من توسعها الاستعماري . وكانت الصين حينذاك عبارة عن مجتمع إقطاعي

(1) Chine Hand Book Series, History. (P.97).

منعزل يسكنها تركيبة من القرويين ، وفئات أخرى من الصناع اليدويين، باعتبار ذلك هو الأسلوب الغالب في عملية الإنتاج .

وكان الزراع يغزلون الخيوط في حين كانت المرأة الصينية تقوم بعملية النسج. وكانوا هكذا ينتجون ما هم بحاجة إليه بالنسبة للغذاء ، والملبس ، والضرورات اليومية، وكانت الأقطان المنسوجة ، والصوف المنسوج في بريطانيا لا يلقيان قبولاً في الصين. ونتيجة لذلك ، كان على طبقة الرأسمالية في بريطانيا أن تحمل كميات ضخمة من الفضة إلى الصين لقاء الحصول على الشاي ، والحرير ، وباقي المنتجات الصينية الأخرى .

ومن أجل استرداد ثروة الصين ، عمد الرأسماليون البريطانيون إلى اللجوء إلى التهريب المسلح ، والرشوة للمسؤولين الصينيين ، الذين سمحوا لهم حينذاك بشحن كميات ضخمة من الأفيون إلى الصين. وفي عام ١٨٢٠ بلغت كميات الأفيون التي صدرها هؤلاء إلى الصين نحو ٥٣٠٫٠٠٠ رطلاً من الأفيون ، وبلغت في عام ١٨٣٣ نحو عشرة أمثال هذا القدر .

وفي فترة سابقة على عام ١٨٤٠ بلغت ٢٠ سنة ، أصبح نزوح الفضة من الصين نحو ١٠٠ مليون تايل ، ومن هنا ارتفع سعر الفضة ، وأصبح عبء القرويين الصينيين ثقيلاً على نحو متصاعد ، ولقيت حكومة " كنج " صعوبات بشكل متزايد . وفي ذات الوقت فإن أعداد مدخني الأفيون قد زاد بشكل كبير جدًا ، كذلك أصبح الحكام الإقطاعيون في الصين يتسمون بالفساد، كما أن مقدرة الصينيين على محاربة الأجنبي قد تضاءلت ، وصار الإمبراطور الصيني" داو جوانج "(Daoguang) خائفًا من تهاوى سلطته كحاكم للصين، وفي ١٨٣٨ بعث بأحد مبعوثيه إلى منطقة "جوانجهو" برسالة تنص على وقف تجارة الأفيون .

ووصل هذا المبعوث إلى جوانجهو في مارس عام ١٨٣٩، وقام بتبليغ الأوامر لكافة تجار الأفيون بتسليم كافة ما لديهم منه – غير أن المشرف البريطاني على التجارة مع الصين تم إجباره على تسليم ما لديه من الأفيون والتى كانت

تزن نحو ١٦ر١ مليون كيلو جراما. وفي ٣ يونيه من نفس العام، أمر المبعوث الإمبراطوري بالاستيلاء على كافة كميات الأفيون، وأن يتم حرقها علانية أمام أعين الجماهير. وبعد تدمير هذه الكميات من الأفيون أصدر أوامره باستعادة تجارة الأفيون بين الصين وبريطانيا، ولكن بشرط عدم السماح للتجار البريطانيين بأية حالٍ من الأحوال بأن يدخلوا إلى الصين أية كميات أخرى من الأفيون.

وفي يونيو عام ١٨٤٠، وتحت مسمى حماية تجارها، قامت بريطانيا بإرسال أكثر من ٤٠ باخرة وأربعمائة جندي لمهاجمة المناطق الساحلية لمنطقة "جواندونج". ومن هنا بدأت ما سمى بحرب الأفيون. وكان أهل منطقة "جوانجز هو" قد أعدوا أنفسهم للدفاع عن بلادهم، لكن الغزاة الأجانب قاموا بمهاجمة جهات أخرى – مما جعل حكومة "كنج" (Qing) تعفي "لين زنكو" (المبعوث الإمبراطوري) من كافة صلاحياته.

وفي يناير من عام ١٨٤١ قام المندوب الإمبراطوري الجديد "كيشان" (Qishan) بالتفاوض مع الجيش البريطاني، حيث تنازلت الصين نتيجة هذه المفاوضات عن "هونج كونج" لبريطانيا، وقامت بفتح ميناء "جوانجهو" (Guanghou) ليكون بمثابة ميناء تجاري. غير أن الإمبراطور "داو جوانج" (Dao Gueng) لما رأى أن التنازل عن الأراضي، ودفع تعويضات للبريطانيين كان بمثابة إهانة للسلطة الإمبراطورية، قام بإعلان الحرب على بريطانيا. وفي فبراير عام ١٨٤١، قام البريطانيون مرة أخرى بالهجوم على "هيومين" (Humen)، كما قصف البريطانيون "جوانجز هو" (Guangzhou) بالمدفعية، مما جعل الصينيين يرفعون العلم الأبيض بالاستسلام.

ولدى تلقي مسودة اتفاقية "شوانبي" (Chuanbi) لم يكن البريطانيون سعداء بما ورد فيها من بنود حيث اعتقدوا أنها مماثلة للصينيين. فبدلاً من التصديق على المعاهدة، عمدت بريطانيا إلى إصدار أوامرها إلى هنري بوتنجر

على رأس ٢٦ سفينة حربية ومعها ٣٥٠٠ جندي إلى توسعة نطاق الحرب ضد الصينيين . هنالك بعثت حكومة " كنج" مبعوثًا إمبراطوريًا إلى السفن الحربية البريطانية لتوقيع وثيقة مذلة للصينيين عرفت باسم " المعاهدة الصينية – البريطانية نانكنج" (١)

ثانيا: معاهدة نانكنج

لقد تضمنت هذه المعاهدة ١٣ مادة ، وكانت الأولى بما سمى بعد ذلك " بالمعاهدات غير المتكافئة " التي وقعتها الصين مع المعتدين الأجانب. ونصت هذه المعاهدة على فتح خمسة موانئ (جوانجزو ، وفوز هو ، وإكسيامين ، ونتجبو ، وشنغهاى) للتجارة ، والتنازل عن هونج كونج للبريطانيين ، إلى جانب دفع تعويضات قدرها ٢١ مليون ريال من الفضة . كذلك تضمنت المعاهدة النص على أن تخضع تعريفات البضائع البريطانية للتفاوض بين البلدين.

وفي عام ١٨٤٤، قامت كل من الولايات المتحدة ، وفرنسا بإجبار حكومة "كنج" (Qing) الصينية على توقيع معاهدة أمريكية – صينية ، ومعاهدة صينية – فرنسية . ومن خلال هاتين المعاهدتين اكتسبت كل من الولايات المتحدة ، وفرنسا كافة المزايا التي وردت في معاهدة " نانكنج " باستثناء التنازل عن الأراضي ، ودفع التعويضات . وبالإضافة إلى ذلك ، أكتسب الأمريكيون أيضًا المزايا الخاصة بإرسال بوارجهم الحربية إلى الموانئ الصينية " لحماية تجارة بلادهم". وكذلك بناء الكنائس ، والمستشفيات في تلك الموانئ التجارية الخمسة .

ويلاحظ من جهة أخرى ، أن توقيع معاهدة " نانكنج" ، وباقي المعاهدات غير المتكافئة كان يعنى أن الصين قد فقدت حقوقها كدولة ذات سيادة . وكان انسياب البضائع الأجنبية إلى الصين دون قيود قد تسبب في تفتت الاقتصاد الإقطاعي الصيني – وخطوة تلو الأخرى ، تحولت الصين إلى ما يشبه

(1) Chine Hand Book Series Ibid P.P. 99 – 100.

المستعمرة، ومجتمع صيني شبه إقطاعي. كذلك أصبح التناقض بين الأمة الصينية ، والرأسماليين الأجانب يزداد رويدًا رويدًا ليصبح تناقضًا رئيسيًا .

ومنذ ذلك التاريخ أصبح أمام الحركات الثورية في الصين هدف مزدوج ، إذ كان عليها مقاومة المعتدين الرأسماليين الأجانب من الخارج، كما أن عليها كذلك أن تحارب الإقطاعيين في الداخل .

ثالثاً : الحرب الصينية –اليابانية ، وأزمة تقسيم الصين بين القوى الإمبريالية

المخططات اليابانية تجاه الصين وكوريا

لقد كانت كوريا بالنسبة لعلاقتها مع الصين بمثابة " الشفة مع الأسنان " كما كانت تقول الأمثال حينذاك. فعلى مدى قرنين من الزمان، كان البلدان يتبادلان العلاقات الاقتصادية والثقافية . وحينما تم غزو كوريا من جانب الجيش الياباني بقيادة " هيديوشى" في أواخر القرن السادس عشر، قامت كوريا بمساعدة الصين لصد هذا الغزو. وكان من نتيجة ذلك ازدياد أواصر الوحدة بين الشعبين .

أما أثناء السبعينيات من القرن التاسع عشر ، وبعد قيام نهضة الميجى في اليابان (١٨٦٨ – ١٩١٢) وانحياز اليابان نحو الرأسمالية، فإنها ارتبطت بقوة مع النظام الإقطاعي في ذلك البلد. وبدأت اليابان في تطوير خططها للغزو الخارجي على " مرحلة تلو الأخرى" للتوسع على حساب كلٍ من كوريا وتايوان ، ومناطق الشمال الشرقي من الصين ومنغوليا ، وفي نهاية الأمر الصين بأكملها لو تسنى ذلك .

ولقد تواكب غزو كوريا مع محاولة الاستيلاء على تايوان . وفي عام ١٨٧٥ تمكنت اليابان من إجبار كوريا على الاستجابة لطلبها بفتح موانيها التجارية لليابان على سواحلها. لكن حكومة " كنج" (Qing) الصينية بدلاً من تقديم المساعدة لكوريا ، لمقاومة اليابان ، فإنها نصحتها في السر بأن تبدأ علاقات تجارية مع كلٍ من بريطانيا والولايات المتحدة، وفرنسا ، وألمانيا . وكانت هذه

النصيحة تتضمن أن ذلك سوف يكون بمثابة حائط صد لليابان. لكن الغزو الياباني لكوريا سرعان ما انتشر بشكلٍ سريع مع كل يوم يمر.(1)

وانتهزت اليابان حصول انقلاب بين الطبقة الحاكمة في كوريا ، وأرسلت قواتها في عام ١٨٨٤ ، وقبضت على أفراد الأسرة الحاكمة الكورية . وعمدت الصين تحت حكم أسرة "كنج" إلى أن تزج بروسيا القيصرية ضد اليابان. لكن اليابان كانت تستند إلى دعم الولايات المتحدة فمدت نفوذها إلى كوريا.

رابعاً: قيام الحرب الصينية -اليابانية ١٨٩٤/١٨٩٥

كان الشعب الكوري في عام ١٨٩٤ قد قام بانتفاضة ضد القهر الإقطاعي من ناحيةٍ والغزو الإمبريالي من جهة أخرى ، وطلبت الحكومة الكورية العون الصيني من حكومة "كنج"، لكن اليابان انتهزت الفرصة لغزو كوريا . وحينما وصلت القوات الصينية إلى كوريا ، كانت الانتفاضة قد انتهت سلفًا. وأرسلت حكومة "كنج" بمذكرة للحكومة اليابانية تقترح فيها إنسحاب القوات اليابانية. لكن اليابانيين رفضوا الجلاء عن كوريا، وقبضوا على الملك، وسيطروا على كافة النقاط الإستراتيجية المؤدية إلى العاصمة الكورية " سيئول ".

وفي عام ١٨٩٥ أجبرت اليابان حكومة " كنج" على التوقيع على معاهدة شيمونو سيكي (Shimonoseiki) حيث قبلت الصين وفقًا لهذه المعاهدة :

(١) التنازل عن خليج لياو تونج وتايوان لليابان .

(٢) وافقت الصين على دفع تعويض قدره ٢٠٠ مليون تايل لليابان لتغطية تكاليف الحرب .

(٣) منحت الصين لليابان حق إقامة الرعايا اليابانيين صناعات فيما سمى " بموانئ المعاهدة" الصينية .

لكن حكومة " كنج" الصينية حاصرت تايوان ، ومنعت ورود أية إمدادات إليها ، مما جعل من الصعب على شعب تايوان الاستمرار في نضالهم. وخلال

---

(1) Jian Bozan, Shao xunsheng, and Hu hua. Opcit. P.P. 108-109.

الخمسين سنة التالية – أى من ١٨٩٥ – ١٩٤٥ – حينما تم استعادة تايوان بعد الحرب العالمية الثانية رسميًا إلى الصين ، وواصل السكان صراعهم ضد الحكم الياباني ، وعودة جزيرة تايوان إلى الوطن الأم.[١]

خامسًا : تقسيم الصين إلى مناطق للنفوذ

لقد تصادف أنه في وقت الحرب الصينية – اليابانية ، أن كانت الرأسمالية الدولية قد وصلت إلى مرحلة الإمبريالية. واحتلت الاحتكارات محل التنافس، وصار تصدير رأس المال يتم بصوره المختلفة ومعانيه المختلفة. وكان لشروط معاهدة شيمو نوسيكي التي تم توقيعها كما أسلفنا بعد الحرب الصينية – اليابانية بأن جعل من المتاح أمام كافة القوى الإمبريالية إقامة صناعات لهم بحرية في أراضي الصين.

ومنذ ذلك الحين فصاعدًا صار تصدير رأس المال إلى الصين لإقامة مشروعات لهؤلاء الإمبرياليين هو الشكل الجديد للعدوان . ومن أجل تيسير استثمارات رءوس أموالهم في الصين ، بدأت مختلف القوى الإمبريالية تقطيع أوصال البلاد إلى ماسمى " بمناطق النفوذ".

وابتداء من ١٨٩٥ فصاعدًا ، انغمست القوى الغربية في نوع من التخاطف للاستيلاء على قواعد لعملياتهم . ففى عام ١٨٩٥ حصلت فرنسا على مناطق من إقليم يينان، أما بريطانيا، فلم يرقها حصول فرنسا على يينان ، وجواندونج وغيرها أن تصبح مناطق نفوذ لفرنسا، فقد استولت على " يير شان" (Yere shan) في منطقة يينان ذاتها ، بالإضافة إلى مدن أخرى. وأما ألمانيا فقد ضمنت لنفسها تأجير " جياوز هو" في ١٨٩٧ ، وقامت ببناء خط للسكك الحديدية يصل مابين جياوز هو إلى جينان (Jinan).

وسرعان ما قامت روسيا القيصرية هى الأخرى بالاستفادة من هذا "التخاطف" للسيطرة على أجزاء من الأراضي الصينية أهمها الأراضي الواقعة شمالي السور العظيم .

---

(1) Jian Bozan, Shaoxunsheng, and Hu hua Ibid. P.P. 110-111.

أما الولايات المتحدة، فلم يكن لها منطقة نفوذ في الصين، فبادرت بإعلان ماسمى " بسياسة الباب المفتوح " (Open Door Policy) في عام ١٨٩٩، وهى سياسة طُلب بمقتضاها من القوى الأخرى أن تُفتح الأبواب على مصراعيها على الأراضي التابعة لها، ومناطق نفوذها في الصين لتمكين الولايات المتحدة من التمتع بفرص متساوية ومزايا في استغلال الصين.

وأما حكومة "كنج" الصينية"، والتى صارت ألعوبة في يد الإمبريالية الأجنبية، فكان هناك مجموعة من " الماندرين"، وملاك الأراضي، وعلى رأسهم الأميرة دواجر (Dowager) منغمسين في حبهم للمسرات والملذات، والفخامة بسماحهم باستيراد البضائع الأجنبية، ويعارضون في نفس الوقت أى شيء يضر بالرأسمالية.

سادسًا: صعود الأفكار البرجوازية للإصلاح السياسي

في نفس الوقت الذي لقيت فيه الصين هزيمة كاملة في حرب ١٨٩٤/ ١٨٩٥ متمنشيًا ذلك أيضًا مع ما أصبحت الصين فيه في حالة من التجزئة من جانب القوى الإمبريالية، انطلق جانب من الطبقات المثقفة للمطالبة بإصلاحات سياسية. وهؤلاء المثقفون المفعمون بأفكار رأسمالية وطنية كانوا على دراية بأن وضع الصين لا يمكن أن يشهد إصلاحًا ببساطة بشراء الآلات والأسلحة من الخارج. وكان أملهم أنه من خلال الإصلاحات السياسية، فإن على الصين أن تسلك طريق الرأسمالية. وكانت أفكارهم هذه متطابقة مع تصاعد طبقة البرجوازية.

والواقع أن السيطرة الأجنبية على الحياة الاقتصادية في الصين مع التعديات المتكررة على الأراضي الصينية ساعدت على انتشار روح المقاومة بين جماهير الشعب الصينى.

وكانت حكومة "كنج" المزعنة دومًا للقوى الإمبريالية تفعل ما وسعها الجهد لقمع هذه الأنشطة الوطنية للشعب الصيني، حتى صار معروفًا بأن مقاومة الإمبريالي هو صنو لمقاومة "كنج" (Qing) وعلى سبيل المثال، حينما قامت

بريطانيا بغزو التبت في عام ١٩٠٤ وقتلت ١٥٠٠ من سكانها ، فإن حكومة "كنج" لم تسارع لنجدة أهل التبت ، بل تواطأت أيضًا في إبرام معاهدة سرية مخزية بين الحكام المحليين والبريطانيين.

سابعًا: تطور أوضاع الحركة البرجوازية الديمقراطية

لقد بدأت البرجوازية الثورية في تكثيف أنشطتها بشكل فعال. وقد تجلى ذلك في ١٩٠٥ حيث ظهرت عدة منظمات برجوازية ديمقراطية ثورية تزعمها الدكتور " صن يات صن" (Sun Yat-Sen) منذ عام ١٨٩٤، واختارت هذه المنظمات الدكتور صن رئيسًا، واتخذت لها شعارات من أمثال " أطردوا المانشو " و" استردوا الصين"، وأقيموا جمهورية، و"ساووا امتلاك الصين"، فضلاً عن طرد المانشو "واستعادة الصين ، "وتكوين الدولة "، وأن حياة الشعب لابد أن تتغير، وفي ظل مبدأ القومية.

اندلاع ثورة أكتوبر ١٩١١

لقد سبق اندلاع ثورة أكتوبر ١٩١١، وبتوجيهات من الدكتور " صن يات صن" أن تمكنت عدة فئات من طلاب العلم الصينيين من تشكيل حركة توحد صفوفهم تدعى "رابطة القسم (La Ligue de Jureé) منذ شهر سبتمبر ١٩٠٥، لكي تتزعم ما صار يعد بعد ذلك ثورة ١٩١١. وكان أبرز أهداف هذه الهيئة طرد "المانشو"(Chasser Les Tartares)، وإقامة جمهورية صينية، وإعادة توزيع الأراضي. وكان التصور أن تنفيذ هذه الأهداف يتم على ثلاثة مراحل ، المرحلة الأولى: وهى فترة يسود فيها الحكم العسكري الذي يحقق الإطاحة بعنصر المانشو، وتكون المرحلة الثانية: فترة يتم خلالها تلقين الشعب الصيني مبادئ الديمقراطية، ونظم الحكم الدستوري، والمرحلة الأخيرة: وهى التي يتم فيها إقامة الحكومة الدستورية بالفعل .

ولقد حدد "صن" مبادئ الثورة الثلاثة والتى تتمثل في الشعارات الثلاثة التي أطلق عليها " شعارات الشعب الثلاثة" وهى: القومية ، والديمقراطية، والاشتراكية".

صحوة المانشو الأخيرة قبيل الثورة

لعله من المناسب أنه قبل عرض الحادثة التي أشعلت الثورة ، الإشارة إلى أن حكام المانشو بعد اختفاء الإمبراطورة "تزو – هسى" من مسرح "المناشو" هو طفل اسمه " بو – يي"(Pou-Yi)، وبرز في عهده القصير عدد من الرجال الذين شرعوا في عَجلَة من أمرهم في القيام بمشروعات ترمى إلى تحديث البلاد وإصلاحها كان أبرزهم " يوان شيه كاى " (Yuan-Shi-Kai). وقام هؤلاء بمحاولات منها تحديث نظام الامتحانات ، وإنشاء جامعة بكين عام ١٩٠٦ ، كما عملوا على فصل الجهاز القضائي عن الإدارة الحكومية ، وأنشؤوا وزارات مختلفة ، بل إن "يوان شيه كاى " قام بإنشاء جيش حديث على النمط الألماني ، إلى غير ذلك من الإصلاحات التي أخذت طابع التسرع .

وبعد ذلك ، اتجه نظام الحكم الإمبراطوري إلى وضع صيغة دستورية عام ١٩٠٦، ثم اتجه النظام إلى إجراء انتخابات عامة – ولكنها كانت في حقيقة الأمر بمثابة تدابير تتم بعد فوات الأوان. وبدا واضحًا أن أسرة " المانشو" في طريقها إلى الزوال .

ثم حان وقت الواقعة الحاسمة ، التي فجرت الثورة في مدينة "هنكو" (Hankou) وذلك بأن وقع انفجار في أحد مصانع الذخيرة التابع لمؤيدي الثورة في "هنكو". وتمرد جنود الإمبراطور في المناطق المجاورة على قياداتهم. لكن الثورة انتشرت بسرعة مذهلة في ربوع الصين دون أن تكون لها خطة عامة للتنسيق. وعلى الفور ، تكونت حكومة ثورية في كانتون ، وطلبوا من الأجانب تأييدهم – الأمر الذي أرغم حكومة "المانشو" على استدعاء " يوان شيه كاى " لقيادة القوات الإمبراطورية. وقد تمكن " يوان شيه كاى" بمهارة فائقة من الحصول على حل وسط مع الثورة.

وفي ٢٤ ديسمبر ١٩١١ كان " صن – يات – صن" لا يزال في الولايات المتحدة عندما نشبت ثورة أكتوبر ١٩١١، فبادر بالحضور إلى الصين من أجل توحيد كيان الحركة . وتم انتخابه على الفور رئيسًا لجمهورية "نانكنج" . وفي

١٢ فبراير ١٩١٢ ، وبعد مفاوضات عسيرة بين الدكتور صن ويوان شيه كاى ، أضطر الإمبراطور الطفل إلى التنازل عن العرش ، وإعلان الجمهورية ، ولكن الدكتور صن تنازل –عن طيب خاطر –ليوان شيه كاى عن رئاسة الجمهورية.[1]

فشل ثورة ١٩١١ ومغزى ذلك تاريخيًا

لقد كان من أسباب فشل هذه الثورة أن رجل الحرب " يوان شيه كاى" الذي كان يمسك بنواصي القوة العسكرية خلف حكومة " كنج" وكان يتمتع دومًا بحظوة لدى القوى الإمبريالية ، أصبح بطل ثورة ١٩١١ وهو الذي جنى ثمارها ، وتمكن من إجبار بلاط "كنج" على ترك مواقعهم لصالحه، كما أجبر حكومة "ناكنج" على تسليم كافة سلطاتها له، وأن ينتخبوه أول رئيس للجمهورية الصينية. وفي مارس ١٩١٢ أعلن " يوان شيه كاى" نفسه رئيسًا للجمهورية . وكان هذا الإعلان علامة على هزيمة أول ثورة برجوازية في الصين.

وعلى الرغم من هذا الإخفاق، فإن الثورة البرجوازية لسنة ١٩١١، كان لها أثر تاريخي عميق لسببين: أولها، الإطاحة بأسرة "كنج" التي حكمت الصين لما يقرب من ثلاثمائة سنة، كما أنها جعلت استعادة ما يزيد على ألفى سنة من النظام الإقطاعي الملكي أمرًا مستحيلاً.

الوضع في الصين قبل الحرب العالمية الثانية

الواقع أن الفترة الممتدة من ١٩١٢-١٩١٩ ، تعتبر واحدة من الفترات حالكة السواد والفوضى التي ميزت تاريخ الصين الحديث. ففي ظل حكم " يوان شيه كاى" ، استمر في حكم البلاد عدد من كبار ملاك الأراضي. ومن ناحية أخرى، فإن "شيه كاى" اتبع سياسة " بيع البلاد"، كما أنه وبمساعدة القوى الإمبريالية حاول أن يتوج نفسه إمبراطورًا . لكنه أخفق في تكوين ملكية. وبعد وفاته المفاجئة في عام ١٩١٦، ذهبت السلطة إلى أيدي خلفائه –وكانوا

---

(١) د. فوزي درويش، الشرق الأقصى –الصين واليابان ، الطبعة الثالثه، ص ص ١٣٠-١٣١.

مجموعة من القادة العسكريين أطلق عليهم اسم " أمراء الحروب". فحينما كانت بكين من نصيب أحد هؤلاء، حاول إقامة حكومة مركزية أصبحت بمثابة غنيمة لأمراء الحروب (Warlords)، والبيروقراطيين وشتى السياسيين الذين لا يتسمون بالنزاهة. ولقد استمرت مختلف القوى الإمبريالية في استغلال الشعب الصيني بحرية تامة ، وفرض إرادتها على الشؤون الصينية باستخدام هذه الأداة المسماة "بالحكومة المركزية" في بكين.

على كلٍ ، فإن هزيمة ثورة ١٩١١ قد أجبرت البرجوازية الصينية على الاعتراف بأن الجمهورية الديمقراطية التي يرنون إليها لم تولد بعد. ومن ناحية أخرى ، فإن العمال والقرويين والبرجوازية الصغيرة الموجودة في المدن الكبرى والصغرى ظلت تعاني وتئن تحت وطأة الظلم الذي لا يعرف الرحمة من الإمبريالية الخارجية من ناحية ، والإقطاع الداخلي من الناحية الأخرى. أما المثقفون ، فكانوا يمضغون المرارة في الظلام بحثًا عن مخرج. فلقد كانت المأساة التي عاشتها الصين أثناء الثمانين عاماً الماضية ، وإخفاق ثورة ١٩١١ ، والحرب الواسعة مع القوى الإمبريالية ، ثم انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا — كان لكلٍ من هذه الأحداث الأثر العميق على المثقفين الصينيين ، وعلى جماهير الشعب المقهورة.(١)

وتجدر الإشارة في هذا المقام ، إلى أن أهم عامل جديد في الوضع السائد في تلك الفترة يكمن في حقيقة أن الطبقة العاملة قد تنامت قوتها نتيجة لتطور الرأسمالية الوطنية ، وزاد عددها من مليون واحد في ١٩١٤ إلى نحو ثلاثة ملايين في عام ١٩١٩، وأنه على الرغم من أن الطبقة العاملة الصينية كانت لا تزال غير واعية سياسيًا بالقدر الكافي، فإنها كانت قد تطورت عشية حركة الرابع من مايو ١٩١٩. فلقد قامت هذه الطبقة بعدة إضرابات رغم أن أيًا منها لم تكن له الصفة السياسية ، لكنها كانت قبل ذلك قد شكلت تنظيمات من مختلف الأشكال ، رغم عدم وجود حزب لهذه الطبقة بعد، أو قيامها بعد بإعداد قيادات

(1) Jian Bozan, and Others Ibid, P.P. 128.133.

للنقابات المهنية. ولكن تحت وطأة القهر الثلاثي المتمثل في الإقطاع ، والرأسمالية، والإمبريالية الخارجية ، فإن الطبقة العاملة الصينية قد نضجت بسبب الكراهية الدفينة للقوى الرجعية . وكان هذا يعنى في الحقيقة أنه بمجرد أن تقلدت هذه الطبقة زمام القيادة ، وأصبحت أيضًا على وعى سياسي ، فقد ساعد ذلك على تطورها بسرعة إلى قوة قادرة على القيام بعمل مستقل.

لذا ، فإن ظهور هذه العناصر الجديدة في السنوات المظلمة التي أعقبت ثورة ١٩١١ قد جاء مبشرًا بعهد جديد في التاريخ الصيني الحديث متواكبًا مع تقدم التاريخ العالمي ككل .

بداية الثورة الديمقراطية الجديدة

حركة ٤ مايو ١٩١٩

لقد شهدت الحرب العالمية الأولى نهايتها في نوفمبر ١٩١٨، واجتمع الأطراف في مؤتمر ڤرساى للسلام في باريس ، وهم المنتصرون في تلك الحرب في يناير ١٩١٩. وكان الهدف الخفي بين القوى المنتصرة هو تقسيم غنائم الحرب، وتقطيع أوصال البلاد المهزومة ، وإعادة توزيع مستعمراتها بينهم .

وفي مؤتمر ڤرساى كان من بين قراراته أن تحصل اليابان على الحقوق الخاصة التي كانت قد حصلت عليها ألمانيا في مقاطعة "شانتونج " الصينية وغيرها مما أثار حفيظة الصينيين. وفي ٤ مايو١٩١٩ قام الطلبة في بكين بعقد إجتماع حاشد في ميدان تيان –إن– مين (Tian An Men) رافعين شعار" حافظوا على سيادتنا ، وعاقبوا الخونة". وأعلنوا عن تصميمهم على القتال إلى آخر رجل ضد الاحتلال الياباني للأراضي الصينية. وطالبوا بمعاقبة ثلاثة من الخونة الموالين لليابان في الحكومة الإقطاعية ، وكان الطلاب بهذه الكيفية أول من قاموا بالفعل بتنظيم إضرابات في قاعات الدرس .

وفي ٣ يونيو، كان هناك اجتماع حاشد شاركت فيه جماهير الشعب الصيني من شتى ضروب الحياة في مدينة شنغهاى. وفي ٥ يونيو قام سبعون ألف عامل

في" شنغهاي أوتانجشان ، و تشانج إكسندیان " بالمشاركة . وكان ذلك بمثابة المرة الأولى التي شاركت فيها الطبقة العاملة الصينية في الإضرابات ، وظهورها على المسرح السياسي. وأمام هذا الضغط الجماهيري ، أجبرت الحكومة الرجعية في ٢٨ يونيو على رفض التوقيع على معاهدة " فرساي".

أثر ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا على الصين

نظرًا للتطور السريع للصناعة الوطنية بالصين أثناء الحرب العالمية الأولى ، والنمو السريع في قوة شريحتين مهمتين في المجتمع الصيني وهما الطبقة العاملة ، وطبقة البرجوازية ، فقد ظهر طوفان من الأفكار الخاصة بالديمقراطية والحرية والتحرير .

وفيما قبل ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا ، فإن الحركة الثقافية في الصين كانت تقتصر على نشر ثقافة الفكر الديمقراطي البرجوازي ، لكن ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا مع ما صاحبها من ثورات البروليتاريا في مختلف الأقطار الأوروبية كان لها أثر عميق على مجرى الأحداث في الصين. وكان نجاح الثورة في روسيا قد وضع نموذجًا أمام الشعب الصيني، وبيَّن له الطريق لتحرير نفسه.

كذلك، كان قيام الحكومة السوفيتية بإلغاء كافة المعاهدات غير المتكافئة التي كانت روسيا القيصرية قد أبرمتها مع الصين قد أعطى إيحاءً مُعبرًا للصينيين، وعمَّق من تعاطفهم ودعمهم للثورة الاشتراكية . وبانتصار ثورة أكتوبر ، انهمر سيل من الأفكار الاشتراكية إلى الصين ، وأثنى كل من "ماوتسي –تونج " وشوإين لاى" على انتصار ثورة أكتوبر الروسية. وأظهر الرجلان يقينهما بالشيوعية ، وأصبحا بمثابة أوائل الصينيين المثقفين اللذين تسلحا بأفكار الشيوعية .

وكانت الحركة الثقافية الجديدة قد أعطت قوة دفع لحركة الرابع من مايو الوطنية . وبهذه الطريقة فإن حركة الرابع من مايو ١٩١٩ قد استطاعت تمهيد الطريق أمام الأفكار الثورية من ناحية ، والاتجاه نحو التنظيم من جهة أخرى لإنشاء الحزب الشيوعي الصيني . لذلك يمكن القول بأن ثورة أكتوبر

الاشتراكية الروسية ، وحركة الرابع من مايو قد غيرتا مجرى التاريخ الحديث في الصين تغييرًا جذريًا.[(١)]

تأسيس الحزب الشيوعي الصيني وتطور وضع طبقة العمال

بعد حركة الرابع من مايو ١٩١٩، تحركت طبقة العمال إلى الأمام بشكل كبير –حتى أن بعض المثقفين وقد تأثروا بالشيوعية ، شرعوا في الإنضمام هم أنفسهم مع العمال في مقاطعات كثيرة مثل "هونان ، وشنغهاى " وساعدوهم على تنظيم نقابات عمالية ، ونوادٍ ، ومدارس للتدريس لبعض الوقت . لذلك ، فإن الحزب السياسي الماركسي الثوري للطبقة العاملة ظهر إلى عالم الوجود ، وكان ذلك بمثابة أهم حدث في تاريخ الصين الحديث .

وأعلن الحزب الشيوعي الصيني بأن مهمته الأولى إنما كانت لتنظيم حركة طبقة العمال من أجل أن يتم تعبئة كامل قواها ، وأن يتم وجود ترابط بينها وبين الشيوعية . وأقام الحزب الشيوعي سكرتارية نقابة العمال من أجل تهيئة قيادة موحدة لحركة الطبقة العاملة خلال البلاد.

وفي يوليو ١٩٢٢ اجتمع الحزب الشيوعي الصيني في ثاني مؤتمراته القومية في "شنغهاى" لإعداد برنامجه ، وحضره ١٢ وفدًا يمثلون ١٢٣ جهة ، وتبنى المؤتمر العام للحزب إعلانًا يتضمن برنامجه الأساسي الذي أشار إلى الآتي: إنهاء الرأسمالية –الإمبريالية ، والقوى الإقطاعية لأمراء الحروب والبيروقراط هم الذين كانوا يفرضون المصاعب على الشعب الصيني (سواء كانوا برجوازيين أم عمال أم قرويين)، ولهذا السبب فإن الحركة الثورية الديمقراطية ضد هاتين القوتين لها المغزى الكامل .

ومنذ ذلك الحين انطلق الشعب الصيني مصممًا على الثورة النضالية العارمة لتحرير نفسه من براثن الاستغلال ، وتبنى المؤتمر قرارًا يدعو إلى الانضمام إلى الشيوعية الدولية.

---

(١) Jian Bozan, and Others Ibid, P.P. 142-.143.

ويلاحظ في هذا الصدد أن الولايات المتحدة واليابان وبريطانيا العظمى" كانوا بمثابة القوى الإمبريالية الرئيسية الذين شاركوا في عملية " التخاطف" على الصين بعد الحرب العالمية الأولى، وأن الولايات المتحدة حققت مكاسب جمة نتيجة التعريفة المفروضة على الذخائر والعتاد الحربي ، وتقديم القروض للمتحاربين . أما اليابان ، فلقد استفادت في توسعاتها الإمبريالية من هذه الحرب الكبرى ، بل استفادت بأكثر مما استفادته القوى الأخرى من الصين ، مما زاد في مطامعها تجاه السيطرة المنفردة على الصين . وأصبحت الإمبريالية الأمريكية ، والإمبريالية اليابانية المتنافسين الرئيسيين بين مختلف هذه القوى الإمبريالية للسيطرة على الصين .

مؤتمر واشنطن ١٩٢٢

لقد كان أهم ما يشغل بال اليابانيين أثناء الحرب العالمية الأولى في حقيقة الأمر، هو حصولهم على إجازة من الدول الأخرى بما تم إحرازه من مكاسب في الصين . ففى أوائل ١٩١٧ عقدت اليابان معاهدات سرية تعترف فيها هذه الدول بحق اليابان في "شانتونج" ، وتلك الجزر التي كانت تسيطر عليها ألمانيا في المحيط الهادي ، والواقعة شمالى خط الاستواء – أى أن اليابان أرادت أن تجعل لهذه المعاهدات السرية صفة الاعتراف العلني .

وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء انعقاد مؤتمر فرساى للصلح ، لم يكن الاهتمام الوحيد لليابان هو فقط الحصول على إقليم شانتونج والجزر التابعة لألمانيا ، وإنما كان اهتمامها منصبًا كذلك على الحصول على بيان رسمي يصدر من المؤتمر يعلن المساواة العنصرية، لذلك فإن الوفد الياباني قدم اقتراحا فيما بعد بأن يتضمن ميثاق عصبة الأمم المتحدة مادة تنص على هذه المساواة – لكن أستراليا والولايات المتحدة ممثلة في شخص رئيسها قد تصدى كل منهما لهذا الاقتراح. ولقد كان السبب في ذلك خشية أستراليا من الغزو العنصري للرجل "الأصفر"، باحتمال هجرته إليها مما يعمل على تخفيض مستوى معيشة سكانها. أما بالنسبة للرئيس الأمريكي ، فقد كان يعنيه بالدرجة الأولى عدم استثارة الرأى العام الأمريكي حول هذه النقطة ، لذلك تم الاكتفاء باسترضاء اليابان عن طريق

إسناد مهمة الانتداب على جزر المحيط الهادي إليها .

ولقد كانت كل من اليابان وإنجلترا، والولايات المتحدة خلال عام ١٩٢٠ في سباق محموم لتدعيم سلاحهما البحري ، حيث باتت هناك تكهنات بقرب وقوع حرب بين الولايات المتحدة واليابان. ومن ناحية أخرى، فلقد استمر انعقاد هذا المؤتمر الهام على مدى ثلاثة أشهر، من نوفمبر ١٩٢١ إلى فبراير ١٩٢٢. وحضر المؤتمر مندوبون من بريطانيا ، وإيطاليا ، وبلجيكا، والبرتغال ، واليابان ، والصين ، كما حضره ممثل عن هولندا بصفة مراقب، ولكن الولايات المتحدة لم توجه الدعوة إلى روسيا باعتبارها قد حادت عن معسكر الحلفاء .

أما المعاهدات التي تمخض عنها المؤتمر، فكانت ثلاثة كالآتي :

(١) المعاهدة الأولى

وتنص على المحافظة على الأوضاع الراهنة في المحيط الهادي، وتم توقيع هذه المعاهدة في ١٣ ديسمبر ١٩٢٣ بين كل من فرنسا، وإنجلترا ، واليابان ، والولايات المتحدة . وأهم ما أسفرت عنه هذه المعاهدة ، أنه صار مفهومًا – ضمنيًا – أنها تنهي التحالف الياباني – البريطاني ، تحت إصرار الولايات المتحدة التي كانت ضد هذا التحالف .

(٢) المعاهدة الثانية

وتنص على إنقاص أعداد وحمولات الأساطيل الحربية ، وأن تكون نسبة الأساطيل بين الولايات المتحدة ، وإنجلترا ، واليابان ، وفرنسا، وإيطاليا هى بنسبة ٥ : ٥ : ٣ : ١٫٧٥٠ : ١٫٧٥٠ على التوالي ، وألا يزيد الحد الأقصى لحمولة السفن الحربية الكبيرة عن ٣٥ ألف طن، وحاملات الطائرات عن ٢٧ ألف طن ، وإعلان هدنة بحرية لمدة عشرة أعوام قادمة .

(٣) المعاهدة الثالثة :

أما المعاهدة الثالثة التي أسفر عنها هذا المؤتمر الهام ، فقد تمثلت أهميتها فيما سمى "بميثاق الدول التسع "، والغرض منها هو احترام سلامة أراضي جمهورية الصين واستقلالها السياسي والإداري. وتم توقيع هذه المعاهدة في ٦ فبراير

١٩٢٢ . وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في نفس الوقت الذي كان فيه المؤتمر منعقدًا، دارت محادثات جانبية بين وفدى كلٍ من الصين واليابان حول إقليم "شانتونج" أسفرت عن موافقة اليابان على سحب قواتها من هناك في غضون ستة أشهر ، وإعادة الأراضي المستأجرة ، كما أُعيد خط سكك حديد تسنجتاو – تسينان إلى الصين .

والملاحظ هنا أنه على الرغم من أن كل ما يتعلق بالصين هو أمر حيوي هام بالنسبة لروسيا، لكنها كما تم ذكره لم تدع لحضور المؤتمر في الوقت الذي أتخذ فيه هذا المؤتمر قرارات تتعلق بمستقبل الصين أهمها :

- دعم حكومة بكين .
- التأكيد على استمرار سياسة الباب المفتوح.
- إعداد بعض المقترحات الخاصة بإلغاء حق إمتداد القوانين في المستقبل بالنسبة للصين.(١)

احتلال اليابان لمناطق شمال شرقى الصين

حوالي نهاية عام ١٩٢٩ غاص العالم الرأسمالي في أزمة اقتصادية. وجاهدت البرجوازية الاحتكارية في الصين في البحث عن مخرج لها من تلك الأزمة. ولجأت إلى الفاشيين من الديكتاتوريين، ومارست عمليات قهر على الطبقة العاملة – أما اليابان ، فقد عمدت إلى مواصلة سياستها الرامية إلى احتلال شمال شرقى الصين ومنغوليا ، ثم بعد ذلك الصين بأكملها بل وبقية أجزاء من آسيا إن أمكن لها ذلك . فبدأت حملتها لاحتلال مناطق شمال شرقى الصين .

وفي ١٨ سبتمبر ١٩٣١ ، قامت اليابان بحملة مفاجئة على منطقة "شينكيانج" ، أما مجموعة "الكومنتانج" بقيادة " تشيانج كاى شيك"، فقد اتبعت سياسة "عدم المقاومة" بحيث أن مقاطعات الشمال الشرقي للصين الثلاثة وهى لياو تنج ، وجيلين ، وهيلو نجيانج ، وإجمالي مساحاتها تزيد عن

(1) Grousset, R. Opcit, P.395

مليوني كيلو متر مربع ، وسكانها يبلغون ما يزيد على ٣٠ مليون نسمة، قامت اليابان بضمهم على مدى ثلاثة أشهر. وفي السنة التالية، أقام اليابانيون حكومة تابعة لهم هى حكومة " منشوكو" للسيطرة على هذه المنطقة .

وكان الحزب الشيوعي والعمال والقرويون أول من رفعوا راية المقاومة ضد اليابان. لكن الاحتلال الياباني للصين تسبب في تغيرات بين مختلف طوائف الشعب. فالبرجوازية الوطنية ، التي كانت إلى هذا الحد تعتمد على الكومنتانج بزعامة "تشيانج كاى شيك" بدأت تظهر عدم رضاها عن سياسته بعدم مقاومة اليابان . وفي ديسمبر ١٩٣١ تجمع نحو ثلاثين ألف طالب من كل من شنغهاى، وبيين ، وتيانجين، ونانكنج، في مدينة "نانكنج" للتظاهر ضد حزب الكومينتانج لتخليه عن شمال شرقى الصين ، والمطالبة بالمقاومة ضد اليابان، لكنه تم قمعهم من جانب "الكومنتانج".

وأخذت كل من بريطانيا ، وأمريكا تلعبان دور التواطؤ حيال الاحتلال الياباني، وشكلوا ما سمى " بلجنة رابطة الدول لفحص الأمر ". وبعد هذا الفحص ، أوصت هذه اللجنة بأن يتم وضع منطقة شمال شرقي الصين تحت الرقابة الدولية. ولكن هذه التوصية كانت عبارة عن تشجيع اليابان لمهاجمة الإتحاد السوفيتي –لكن الإتحاد السوفيتي تحت قيادة ستالين، كان البلد الوحيد الذي قام بإدانة الاحتلال الياباني .

وفي محاولة من اليابان لإخضاع الصين بضربة واحدة ، شنت اليابان هجمة مباغتة على شنغهاى في ٢٨ يناير ١٩٣٢ . وبتصاعد المشاعر ضد اليابان ، قام الشعب الصيني في كافة أنحاء البلاد والجيش بمقاومة هذا الهجوم على غير إرادة "تشيانج كاى شيك". وقام الحزب الشيوعي أيضًا بتعبئة العمال والطلبة في شنغهاى ، ونظموا جيشًا من المتطوعين للقتال على الجبهة ، ولكن بعد أكثر من شهر من النضال عانى المدافعون عن شنغهاى مُر الهزيمة بسبب أعمال الخيانة التي أقدم عليها الكومنتانج.(١)

(1) Jian Bozan, Shaoxunsheng, Opcit. P

لقد عمد "تشيانج كاى شيك" في يونيو ١٩٣٢ إلى تجميع قوة عددها ٥٠٠،٠٠٠ رجل لتطويق وكبت القواعد الثورية . وبحلول فبراير ١٩٣٣، تم دحر هذا الهجوم الذي بدأه "تشانج كاى شيك" من جانب الجيش الأحمر الذي حارب ببسالة تحت قيادة " تشو إين لاى" (Shou En Lai) وقام القرويون في الجيش الأحمر بإصدار إعلان في ١٧ يناير ١٩٣٣ يعبرون فيه عن عزمهم على التعاون مع كافة القوات لمقاومة اليابان ووقف الهجمات على الجيش الأحمر ، وأعلنوا استعدادهم لتسليح الجماهير والحفاظ على حقوقهم الديمقراطية ، وصارت هناك استجابة من جانب القادة العسكريين الوطنيين في الكومنتانج، أما الكومنتانج بقيادة " تشيانج كاى شيك" فقد كان رده على هذه النداءات بالاستمرار في الاستسلام لليابانيين . وبدعم من الولايات المتحدة ، وبريطانيا واليابان ، وألمانيا ، وإيطاليا ، قام تشيانج كاى شيك بإطلاق حملته الخامسة الكبرى بتطويق ودهم القواعد الثورية في أكتوبر ١٩٣٣. وفي ١٦ أكتوبر ١٩٣٤ قامت القوة الأساسية للجيش الأحمر الصيني بترك القاعدة الثورية الأساسية في " جيانكسى"، واندفعت محطمةً حصار العدو وبدأت ما سمى بالمسيرة الطويلة (Long March).

وخرج الشيوعيون الصينيون في جماعات صغيرة ، الواحدة تلو الأخرى من دائرة الحصار لبدء تلك المسيرة الطويلة التي طوقت أنباؤها الآفاق بما تضمنته من مشقة بالغة ، ونظرًا للمسافة الهائلة التي قطعوها في هذه المسيرة التي اتخذت اتجاه الجنوب أولاً على أمل تلقي جانبًا من الدعم من إقليم فوكين ، ثم انحرفت ناحية الغرب ، لتصعد بعد ذلك ومعها أسلحتها وأمتعتها ونساؤها وأطفالها متجهة نحو الشمال لمسافة عشرة آلاف كيلو مترًا سيرًا على الأقدام ، واستمرت ما يزيد على سنة حافلة بالكوارث والمصاعب في مقاطعة "شانسي" (Chensi)[1].

(1) Grou sset, R. Ibid, P.P.151-152

وتابعت القوات اليابانية زحفها للاستيلاء على كل منشوريا . وبعد أن تحقق لها ذلك ، عملت على تكوين حكومة محلية ، كما تمت الإشارة وأعلنت أستقلال منشوريا تحت اسم جديد هو "منشوكو" في عام ١٩٣٢ . ووضع اليابانيون على رأس هذه الدولة المصطنعة إمبراطور الصين السابق " بو – يي " (Pou-Yi) .

ورفضت الصين أن تصبح بمثابة مستعمرة يابانية ، كذلك وقعت الحرب الصينية الثانية في عام ١٩٣٧ . وقد تعللت اليابان في ذلك بأن أرواح اليابانيين تتعرض للخطر، كما عمدت اليابان كذلك إلى مباغتة الصين بضربة قبل أن تستكمل استعداداتها العسكرية بقيادة " تشانج كاى شيك" الذي كان عدوًا لدودًا لليابانيين. ولما وقعت حادثة على الحدود بين القوات الصينية والقوات اليابانية عند مدينة " أوين – بنج" (Ouen Ping) في يوليو ١٩٣٧ طالبت اليابان بسحب الجيوش الصينية من الشمال وكان معنى ذلك أن مصير الشمال الصيني سوف يكون شبيهًا بمصير منشوريا، فرفضت حكومة " تشيانج كاى شيك " هذا الطلب ، وزحفت الجيوش اليابانية إلى شنغهاى ، ونانكنج في السنة التالية ، بل وعلى شمال الصين بأسره ، وجانب من الصين الوسطى بينما لجأت حكومة تشيانج كاى شيك إلى منطقة (تشونج كنج) لمعاودة القتال بعد ذلك .

وتجدر الإشارة إلى أن اليابان حينما باشرت عدوانها على الصين عام ١٩٣٧، كانت إحدى الشروط الهامة التي اشترطتها الولايات المتحدة للعودة إلى علاقاتها الودية مع اليابان هى: جلاء اليابان الكامل عن الصين والهند الصينية ، ولكن اليابان أعلنت الحرب على الولايات المتحدة في ٧ ديسمبر ١٩٤١ . وكانت الولايات المتحدة بحاجة ماسة إلى استمرار المقاومة الصينية من أجل شل أكبر عدد ممكن من اليابانيين، وانشغالهم في هذه المقاومة ، ولذلك تقابل " تشيانج كاي شيك " مع الرئيس الأمريكي " روزفلت"، ونستون تشرشل في القاهرة في الفترة من ١٢ – ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣، وذلك للتباحث ، عن كيفية مواصلة الحرب، وعن الشروط الواجب فرضها على اليابان في حالة استسلامها .

ولقد قاد "ماوتسى – تونج" الثورة منذ بدايتها في إحدى ضواحي "

كيانجسي". ومن خلال معاركه الأولى، وعلى مدار سبع سنوات اتضحت أمامه معالم الخطة التي تحققت بها انتصاراته والمتمثلة في: "تركيز القوة عند الهجوم، وتشتتها عند الانسحاب"، ثم دحر العدو عن طريق المباغتة، وتجنب الوقوع في مفاجأته. وفي ذلك يقول "ماوتسى–تونج": "حين يتقدم العدو نتراجع نحن، وحين يتوقف نعكر عليه صفو هدوئه، وحين ينسحب نلحق به".(١)

على أن زعامة "ماو تسى–تونج" ارتبطت بيوم أول أكتوبر ١٩٤٣ الذي انطلقت فيه المسيرة التاريخية الطويلة التي قاسى أفرادها الأهوال حتى أنهم حينما بلغ بهم الجوع مبلغه مع عدم وجود المؤن اضطروا إلى أكل أوراق الشجر، وحتى نعال أحذيتهم بعد أن يقوموا بغليانها في الماء، حتى لجؤوا إلى حمالات أسلحتهم الجلدية، بل وأحزمة بنادقهم يتبلغون بها حتى تبلغ المسيرة منتهاها.(٢)

وقام "ماوتسى–تونج" في نوفمبر ١٩٤٧ بإعادة تنظيم قواته، فعيَّن مندوبين سياسيين مع قواد الجيش، وعمل على تحديد أهدافه السياسية وتعليماته العسكرية، وتبلورت هذه التعليمات في الحرب المتمثلة في محاربة وحدات العدو المشتتة، أو المنعزلة، والسيطرة الكاملة في العام الأول على المناطق الريفية، وعلى مناطق الإقطاع القديمة، ثم تجنب الدخول في معارك الاستنزاف أو العمليات العسكرية المرتجلة، وجعل العدو يستنفذ أكبر قدر من موارده المادية، وكسب تقدير ومحبة القرويين لمساعدتهم في أشغالهم وتيسير إمدادهم بالمواد الغذائية، وطرح المبادئ السياسية والشعارات لتحريرهم حتى لا يستطيع ما أُطِلق عليهم "الوطنيون"، المعارضة في منحهم الأراضي التي نادت بها مبادئ الشيوعية، بأن الأرض لمن يفلحها.

استيلاء الشيوعيين على السلطة في الصين

لقد كان في حوزة من أُطِلق عليهم "الوطنيون" في نهاية الحرب العالمية الثانية أكثر من ثلاثة ملايين جندي صينى مدربين غالبيتهم في أمريكا، ويحملون أسلحة

---

(١) بريفيت آلان: يوم تنهض الصين يهتز العالم، ترجمة: هنري زغيب، ص ٣١.

(٢) بريفيت آلان: نفس المرجع، ص ٣٣.

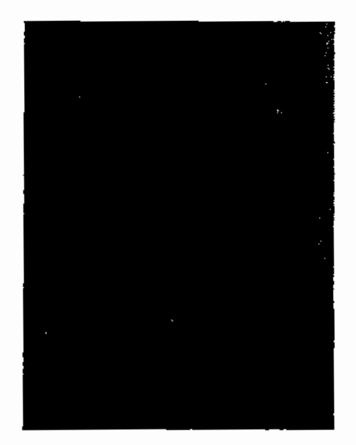
أمريكية – أما الشيوعيون ، فلم يكن في حوزتهم سوى قوة ضعيفة المعدات لا تتجاوز نصف عدد الوطنيين ، ولكنهم كانوا قد حصلوا على كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر حينما تمكنوا من السيطرة على المناطق التي كان يحتلها اليابانيون في شمال الصين ، وفي منشوريا . لكن الروح المعنوية للشيوعيين كانت عالية جدًا ن لأنهم جمعوا بين الدعاية الناجحة ، والقيادة الملهمة القادرة ، بالإضافة إلى التأييد الشعبي الواسع .

لذلك ، فإنه لم تحل نهاية ١٩٤٨ إلا وكانت الصين تقريبًا فيما يلي نهر اليانجتسى شمالاً قد صارت في قبضة الشيوعيين. وبعد ذلك بعام واحد ، انهارت مقاومة " الوطنيين" فيما عدا جزيرة فرموزا ، وإقليمي سينكيانج ، والتبت ، في أقصى الشرق . وفي ٢٢ يناير ١٩٤٩ سقطت العاصمكة بكين في قبضتهم بعد انسحاب " تشانج كاى شيك" إلى "نانكنج"، ثم إلى "كانتون"، ثم إلى " هنكو"، و"شنغهاى". وبهذا النصر الحاسم، تم إعلان جمهورية الصين الشعبية في ٢١ سبتمبر ١٩١٩.

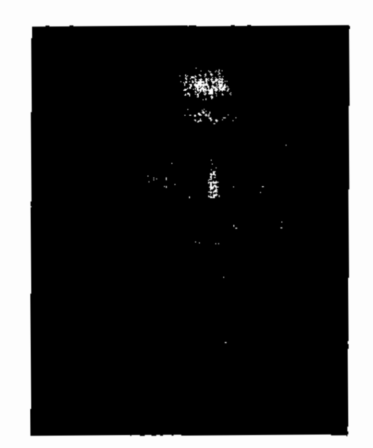
ومما تجدر الإشارة إليه ، أن انهيار "الصين الوطنية بقيادة تشيانج كاى شيك " قد وضع الولايات المتحدة في حرج بالغ ، إذ كانت الولايات المتحدة قد قدمت إلى الكومنتانج مبالغ من الدولارات لم تنل في مقابلها سوى عداوة الحكومة الشيوعية الجديدة ، ونتج عن إصرار الشيوعيين الصينيين على عداوتهم لأمريكا ، أن أصبح اعتراف أمريكا السياسي بالحكومة الجديدة أمرًا مستحيلاً. ومع ذلك فإن ضياع الأمل في " الصين الوطنية" من جهة، وواقع أن فرموزا لا تعتبر رسميًا ذات أهمية إستراتيجية للدفاع عن مركز الولايات المتحدة في شرق آسيا. كل ذلك جعل من العبث استمرار أمريكا في تأييد " تشيانج كاى شيك " في معقله الجديد والأخير الذي فرَّ هاربًا إليه في فرموزا (تايوان حاليًا).

وكان من الطبيعي أن تتطلع الصين إلى إعادة بنائها الاقتصادي بعد ثمانية سنوات من الحرب (١٩٣٧ – ١٩٤٥). ولما كان النصر قد تحقق للشيوعيين ، وكان الاتحاد السوفييتي قد أضحى دولة صناعية كبرى يتطلع للحصول على

نصيبه من الصين ، فقد دأبت الصحافة السوفييتية منذ مارس ١٩٤٥ على القول بأنه يجب على الولايات المتحدة التخلي عن سياستها التوسعية في الصين ، وطالبت بعقد مؤتمر سوفييتي –إنجليزي –أمريكي ، لدراسة بناء الصين وتجهيزها.(١)



ملو تسي تونج





تشيانج كاي شيك

(١) رونوفان .ب. ، تاريخ القرن العشرين ،(ترجمة د./ نور الدين حاطوم)، الطبعة الثانية ، ص ٥٥١ .

الفصـل الثالث

تاريخ الصين الحديث (الفترة الثانية)

تطور علاقات الصين مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي

الفصل الثالث

تاريخ الصين الحديث (الفترة الثانية)

تطور علاقات الصين مع الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي

أولاً: العلاقات الصينية الأمريكية

لعل من المناسب الإشارة إلى المسألة الكورية ، لما كان لها من أثر في العلاقات الصينية – الأمريكية كما سنرى بعد قليل .

(۱) جذور المشكلة

في الوقت الذي كانت فيه كل من واشنطن وباريس ولندن تقيم احتفالاتها بالانتصار عام ١٩٤٥ على دول المحور (إيطاليا – ألمانيا – اليابان) في الحرب العالمية الثانية – كانت هناك مشكلة تنمو وتختمر في أحد أركان منطقة الشرق الأقصى ، لم تكن تحظى بأي اهتمام نظرًا لعدم بروزها على الساحة العسكرية. وأصبحت كوريا منطقة تتبارى بشأنها الدول الكبرى ، وكان الطرفان المتنافسان هما الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة.

فمنذ ١٩١٠، كانت اليابان قد ضمنت إليها كوريا بعد انتصارها على كلٍ من الصين وروسيا على التوالي. غير أن هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ قد حول كوريا إلى منطقة للفراغ السياسي. وفي مؤتمر وزراء الخارجية المنعقد في موسكو في ديسمبر ١٩٤٥، قرر الحلفاء ضم كوريا تحت وصاية كلٍ من الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي وبريطانيا والصين، على أن تحصل كوريا على استقلالها من خلال هذه الوصاية بعد خمس سنوات .

وكانت وجهة النظر السوفييتية ترى أن كوريا الموالية لها – أو حتى المقسمة ، بحيث يكون الجانب الشمالي منها في أيدي دولة صديقة تكون بمثابة منطقة عازلة تجعل الإتحاد السوفييتي في مأمن من أى هجوم يقع عليه من ناحية كوريا

لوقوعها قرب حدوده – أما وجهة النظر الأمريكية ، فكانت تود لو تصبح كوريا بلدًا صديقًا مواليًا لا يقع تحت سيطرة الإتحاد السوفييتي. لذلك اهتمت الولايات المتحدة بالمشاركة في إدارة كوريا ، ومن جهة أخرى كان لكل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي حق مشروع في إجلاء القوات اليابانية عن كوريا .

ومن خلال سعى كلٍ من الولايات المتحدة ، والإتحاد السوفييتي لتحقيق مصالحهما ، والإشراف على إجلاء اليابانيين ، قامت الدولتان بإرسال قواتهما إلى كوريا، وكان ذلك بمثابة بذر بذور المتاعب: فتقدمت الولايات المتحدة باقتراح بأن يكون خط عرض ٣٨ درجة شمالاً كخطٍ حكمي مؤقت يفصل بين القوات السوفييتية والقوات الأمريكية في كوريا . وعلى ذلك احتلت القوات السوفييتية الجزء الشمالي منها حتى ذلك الخط ، واحتلت القوات الأمريكية الجزء الجنوبي من كوريا بما فيها العاصمة سيؤول. (١)

غير أن حكومة الولايات المتحدة بادرت من جانبها بعرض المسألة على الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ مطالبةً الحكومة السوفييتية بدعوة كلٍ من ممثلي كوريا الشمالية ، وكوريا الجنوبية لحضور المناقشات ، ولما رفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الطلب انسحب الإتحاد السوفييتي ومن يدور في فلكه من الدول الاشتراكية مقررين عدم المشاركة في نظر المسألة، وبالتالي عدم التصويت عليها .

وبعد مناقشات مضنية، قررت الجمعية العامة بأكثرية الأصوات تشكيل لجنة دولية أنيط بها مهمة الإشراف على إجراء انتخابات عامة تمهيدًا لتأليف الحكومة من شطرى كوريا، والعمل على جلاء قوات الاحتلال. وباشرت اللجنة إجراء هذه الانتخابات في كوريا الجنوبية في ١٠ مايو ١٩٤٨، وأسفرت عن فوز ما سمى " بالرابطة القومية للتحقيق الناجز لاستقلال كوريا "، وأسند إلى زعيمها " سينجمان رى " مهمة تشكيل الحكومة.

---

(1) Danovan, R. Tumultuous Years 1.st edition. P.89.

أما في كوريا الشمالية ، فقد تشكلت لجنة برئاسة "كيم- إل- سونج" لإعداد مشروع الدستور. وأجريت انتخابات عامة في كوريا أشترك فيها الكوريون الجنوبيون من الشيوعيين ، وتكونت لجنة أُطلق عليها أسم " جمعية شعب كوريا بأسره"، تضم من الشماليين ٢١٢ عضوًا، ومن الجنوبين ٢٦٠ عضوًا . وعلى إثر ذلك تشكلت حكومة جمهورية كوريا الشعبية في سبتمبر ١٩٤٨ وسارع الإتحاد السوفييتي بالاعتراف بها فضلاً عن قيام الصين بذلك أيضًا .

ولقد سعت الولايات المتحدة إلى ضم كوريا الجنوبية إلى الأمم المتحدة، وحذا الإتحاد السوفييتي نفس الحذو بالنسبة لكوريا الشمالية. بيد أن كلاً من الدولتين قد عمدتا إلى استخدام حق الفيتو ضد الأخرى ، مما أسفر عن رفض مجلس الأمن قبول أى من الكوريتين عضوًا في المنظمة. وفي ديسمبر ١٩٤٨ أعلن الإتحاد السوفييتي سحب قواته من كوريا الشمالية ، وفعلت الولايات المتحدة نفس الشيء بالنسبة لكوريا الجنوبية - مما جعل الموقف مشابهًا بعض الشيء للوضع الذي ساد ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية ، وأصبح خط عرض ٣٨ درجة شمالاً بمثابة حد سياسي يفصل المنقطتين ، تقوم على جانبيه حكومتان في حالة عداء وتنافر الواحدة مع الأخرى .

(٢) نشوب الحرب الكورية

ما لبثت العداوة التي زرعت على جانبي خط عرض ٣٨ شمالاً أن اتخذت مظهر الحرب الفعلية عندما تخطت قوات كوريا الشمالية هذه الحدود فطالبت الولايات المتحدة بعرض الأمر على مجلس الأمن. وأعلن الإتحاد السوفييتي عدم مشاركته في نظر القضية إلا بعد حصول الصين الشعبية على مقعد لها في مجلس الأمن. وفي هذا الظرف، صدر قرار مجلس الأمن داعيًا إلى وقف القتال ، والانسحاب إلى ما وراء خط عرض ٣٨ درجة شمالاً .

غير أن النزاع أخذ منعطفًا خطيرًا حين كلفت الولايات المتحدة الجنرال ماك آرثر، القائد العام لقوات الحلفاء في اليابان بدعم القوات الكورية الجنوبية

بالسلاح والعتاد، وإعدادها للقتال. وفي هذه الأثناء، كانت قد وردت تقارير لجنة الأمم المتحدة في كوريا تدين كوريا الشمالية بالعدوان، مما جعل الولايات المتحدة تتخذ خطوة جديدة نحو تقديم طلب لمجلس الأمن لإصدار قرار بفرض عقوبات ضد كوريا الشمالية. وصدرت بالفعل موافقة المجلس على مشروع القرار بأغلبية الأصوات في ٢٧ يونيو عام ١٩٥١.

ولم يمض على القرار المذكور أكثر من يومين حتى أصدر الرئيس الأمريكي ترومان أوامر للجنرال ماك آرثر بإنزال قوات برية في الأراضي الكورية. فضلاً عن محاصرة شواطئها، وزيادةً على ذلك، فقد أصدر أوامر بأن يقوم سلاح الطيران الأمريكي بضرب الأهداف العسكرية في كوريا الشمالية.

(٣) مراحل الحرب الكورية

يمكن تقسيم هذه الحرب – لما لها من انعكاسات شديدة – إلى ثلاثة مراحل، لكل مرحلة منها سمة خاصة. فالمرحلة الأولى اتسمت بعزوف الأمريكيين عن محاولات السلام، والتردد حتى تدخلت الصين، وأما المرحلة الثانية، فقد تميزت بدخول الصين الحرب حين بات الخطر على أبوابها. أما المرحلة الثالثة، فقد تميزت بإدراك الولايات المتحدة للمخاطر الكبرى الناجمة عن تهور الجنرال " ماك آرثر"، وتصميمه على ضرب الصين.

وانتهت هذه المرحلة بتسوية النزاع جزئيًا على نحو ما سنرى بدرجة من التفصيل.

أولاً: المرحلة الأولى منذ قيام الحرب حتى تدخل الصين

كان الرئيس الهندي " جواهر لال نهرو" قد قام بمحاولات سلمية عام ١٩٥٠ لحل هذا النزاع الذي صار يتخذ أبعادًا واسعة، مقترحًا قبول جمهورية الصين الشعبية عضوًا في الأمم المتحدة مقابل إجراء تسوية مقبولة للنزاع الكوري. وقبل الإتحاد السوفيتي هذا العرض، على أن يتولى الخمسة الكبار حل النزاع – لكن الولايات المتحدة رفضت فكرة قبول الصين عضوًا في الأمم المتحدة رفضًا قاطعًا، وبذلك فشلت المساعي الهندية.

وحقيقة الأمر ، أن الولايات المتحدة كانت تواجه في تلك المرحلة مشكلة حرجة ، تتمثل في ترددها في اتخاذ أيٍ من الموقفين: إما الاكتفاء بصد العدوان دون اجتياز خط عرض ٣٨ درجة شمالاً ، وإما مواصلة تقدمها شمالاً عبر هذا الخط ، إلا أن ماك آرثر ما لبث أن أصدر أوامره لقوات كوريا الجنوبية باجتياز هذا الخط، ولحقت بها قوات الأمم المتحدة. وبذلك تنتهي هذه المرحلة من مراحل الحرب الكورية التي تحولت فيها الولايات المتحدة من الدفاع إلى الهجوم .

ثانياً: المرحلة الثانية: من بداية التدخل الصيني حتى عزل الجنرال ماك آرثر في إبريل ١٩٥١

ما أن رأت الصين أن قوات الأمم المتحدة قد اجتازت خط عرض ٣٨ درجة شمالاً حتى بادرت بالتدخل بمباركة من الإتحاد السوفيتي ، حيث بدا واضحًا أن قوات الأمم المتحدة هذه تقع تحت السيطرة الكاملة للولايات المتحدة . ولم تقبل الصين أن تقترب هذه القوات من حدودها . فبادرت بإرسال موجات ضخمة من الصينيين على شكل متطوعين إلى جبهة القتال. إزاء هذا التدخل الصيني ، أصبح ميزان القوى مختلاً ، وانقلب الحال في غير صالح قوات الأمم المتحدة . وحاول ماك آرثر عبثًا أن يتقدم بقوات الأمم المتحدة للتصدي للقوات الصينية الزاحفة .

وفكر " ماك آرثر" في طلب التصريح له بضرب الصين جوًا ، لكن حلفاء أمريكا عارضوا هذه الفكرة ، مخافة أن يؤدي ذلك إلى تدخل السوفييت واتساع رقعة الحرب حتى تشمل الميدان الأوروبي في وقت لم تكن فيه الولايات المتحدة أو حليفاتها على أدنى استعداد للدخول في حرب عالمية ثالثة . غير أن الصين كانت تشترط لوقف القتال شروطًا لم تكن لتقبلها الولايات المتحدة بحالٍ من الأحوال، من أمثال ذلك قبولها عضوًا في الأمم المتحدة ، والتخلي عن فرموزا ، والانسحاب إلى ما وراء خط عرض ٣٨ درجة شمالاً . وأمام موقف الصين المتشدد ، فكر الرئيس الأمريكي " ترومان" في استخدام القنبلة الذرية ضدها.[١]

وفي ٢٠ يناير من عام ١٩٥١ ، وافقت اللجنة السياسية للأمم المتحدة بناءً

---

(١) د. محمد محمود السروجي ، سياسة الولايات المتحدة الخارجية ، ص ٢٤٧ .

على اقتراح الولايات المتحدة – بطبيعة الحال – على اعتبار الصين الشعبية دولة معتدية. وأصر الجنرال " ماك آرثر" على رأيه من أن إحراز النصر النهائي لا يتأتى إلا بضرب الصين ضربة قاصمة . فعرض على سلطات كوريا الشمالية – دون الرجوع إلى حكومته – وإما عقد هدنة – وإلا امتداد عملياته الحربية إلى قلب الصين . وأمام هذا التهور الواضح ، أصدر الرئيس ترومان قراره في ١٠ إبريل ١٩٥١ بعزل " ماك آرثر" من كافة سلطاته.

ثالثا: المرحلة الثالثة: وتشمل الفترة من عزل ماك آرثر حتى التسوية الجزئية للنزاع

لقد كان لعجز الطرفين ، الأمريكي والصيني ، عن إحراز معركة حاسمة في كوريا ، أكبر الأثر في لجوء الطرفين للتفاوض، ولاسيما بعد أن أعلن مندوب الإتحاد السوفييتي في الأمم المتحدة أن التعايش السلمي بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي أمر ممكن ، وأن بالإمكان حل المشكلة الكورية بسحب قوات الطرفين من على جانب خط عرض ٣٨ درجة شمالاً . وبدأت المفاوضات في ١٠ يوليو ١٩٥١ بين كل من ممثلي الولايات المتحدة ، وكوريا الشمالية ، والمتطوعين الصينيين . وعرض الشيوعيون مقترحاتهم التي تتلخص فيما يلي :

- وقف إطلاق النار فورًا ، وقبل الشروع في مفاوضات الهدنة .
- اعتبار خط عرض ٣٨ درجة شمالاً بمثابة خد فاصل من الوجهة العسكرية على أن يتم ترك مسافة عشرة كيلو مترات على جانبي هذا الخط كمنطقة منزوعة السلاح.
- سحب جميع القوات الأجنبية من كوريا في أسرع وقت .

لكن المفاوضات تعثرت بين الطرفين وقتًا طويلاً ، حتى أقدمت الصين من جانبها في ٣٠ مارس ١٩٥٣ على خطة في طريق الحل. فاقترح " شو إين لاى" قبول المشروع الهندي الخاص بتسليم الأسرى لدولة محايدة ، ومن ثم يمكن الجانبان الأمريكي والكوري الشمالي من تبادل عدد من الأسرى .

وفي ٧ يونيو ١٩٥٣، تم توقيع اتفاق بخصوص الخط الفاصل للهدنة ، وهو خط ينحرف قليلاً عن خط عرض ٣٨ درجة شمالاً ، ويقطعه من ناحية الغرب

ومن الجنوب الغربي باتجاه الشرق والشمال الشرقي .

وفي النهاية ، فقد أمكن توقيع اتفاق هدنة في (بانمو نجوم) على أن يفصل بين الجيشين منطقة مجردة من السلاح عرضها أربعة كيلو مترات، توطئة لعقد مؤتمر سياسي في ظرف ثلاثة شهور لإيجاد التسوية الشاملة للمشكلة الكورية . وكانت النتيجة أن وقعت الولايات المتحدة في ٧ أغسطس ١٩٥٣ معاهدة دفاعية بينها وبين كوريا الجنوبية. وقام الإتحاد السوفييتي من جانبه بنفس الشيء بالنسبة لكوريا الشمالية. ولكن اختلاف وجهات النظر بين الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا بشأن الهدف من عقد المؤتمر السياسي لتسوية المشكلة ، حال دون انعقاده – إذ كانت الولايات المتحدة تهدف من وراء عقده إلى توحيد كوريا في نهاية الأمر ، في حين كانت بريطانيا ترى أن الهدف من عقده ينحصر فقط في حماية كوريا الجنوبية من العدوان الشيوعي . وفي النهاية ، فإن الحرب الكورية تركت بصماتها واضحة على العلاقات الصينية – الأمريكية .

العلاقات الصينية – الأمريكية أثناء الحرب الكورية

لم يتوقف التوتر بين الصينيين والأمريكيين عن التصاعد أثناء الحرب ، وصار أكثر تفجرًا عندما رفضت الصين إطلاق سراح الطيارين الأمريكيين الذين كانت تحتجزهم ، وخلال شتاء عام ١٩٥٤-١٩٥٥ حينما خوّل الكونجرس الأمريكي للرئيس "أيزنهاور " التصرف حسبما يراه ضروريًا للدفاع عن "تايوان والبسكادور" ، أدركت الصين أن إصرارها على موقفها قد لا يجديها نفعًا، وأنه سوف يتسبب في الإضرار بأمنها في نفس الوقت الذي أدركت فيه أن الدول الآسيوية المحايدة لن تستطيع أن تمد لها يد العون. ولقد تجلت رغبة الصين واضحةً جلية في إحداث تغيير أثناء مؤتمر باندونج ، فشرعت في إجراء اتصالات دبلوماسية محدودة بين سفرائها والسفراء الأمريكيين أولاً في جنيف ، ثم بعد ذلك في وارسو .

وأثناء هذه الاتصالات ، كانت أمريكا تمارس ضغطها على الصين- لكي تعلن أنها سوف لا تعمل على تحرير تايوان بالقوة، في حين طالب الصينيون بعقد

مؤتمر سياسي موسع بين وزراء خارجية الصين، وأمريكا لتتم مناقشة كافة المشكلات المُعلقة بين البلدين.[1]

وكان الأمريكيون يدركون جيدًا قبل نشوب الحرب الكورية عام ١٩٥٠ أن الشيوعيين الصينيين رغم تمكنهم من إقامة حكومتهم الشيوعية في أكتوبر ١٩٤٩، فإن هناك نزعتين متعارضتين: أولها النزعة الشيوعية السوفييتية في السيطرة، وثانيها النزعة القومية الصينية المتصاعدة، وأن الشقاق سوف يدب لا محالة بين النزعتين. لذلك، حينما أعد الشيوعيون الصينيون أنفسهم في مستهل عام ١٩٥٠ لغزو تايوان، أعلنت الحكومة الأمريكية أنها سوف لن تتدخل عسكريًا لمنع هذا الغزو.

لكن الموقف تغير كثيرًا نتيجة النشوب المفاجئ للحرب الكورية في يونيو ١٩٥٠. فحينما تقدمت الحرب، ومالت الكفة ضد الكوريين الشماليين، خشى الصينيون من التهديد المباشر لمنطقة شمال شرقى الصين. وحدثت نقطة تحول حاسمة في شهرى سبتمبر وأكتوبر ١٩٥٠ حينما بدا أن قوات الأمم المتحدة التي أيقنت الصين أنها قوات تابعة للولايات المتحدة - يمكن لها عبور خط عرض ٤٨ درجة، والتوجه شمالاً. وخشيت الصين من احتمال انهيار الحكم الشيوعي القائم في كوريا الشمالية - إذ كانت الصين تعتبرها بمثابة منطقة عازلة (Buffer) لازمة لأمن الصين.

لذلك وجهت الصين تحذيراً للأمريكيين أنهم إذا عبروا خط ٣٨ درجة، فإن الصين لن تقف مكتوفة الأيدي. وحينما تجاهلت الولايات المتحدة هذا التحذير الصيني، تحركت موجات من المتطوعين الصينيين إلى كوريا الشمالية. ولم تلبث فترة وجيزة حتى صارت الحرب الكورية بمثابة صراع عسكري واضح بين الولايات المتحدة والصين.

(1) T. Mende, La Chine et son Ombne P. 287.

استمرار المواجهة بين الصين والولايات المتحدة عشرين عامًا

إذن ، فالحرب الكورية قد عملت على إيجاد جو من الشك المتبادل والريب بين الصين والولايات المتحدة مما نجم عنه استمرار المواجهة المكشوفة بين البلدين امتدت كما سنرى إلى نحو عشرين عامًا خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين . ففى الفترة التي أعقبت الحرب الكورية ، كانت سياسة الولايات المتحدة تجاه الصين تتمثل في محاولة احتوائها بما أطلق عليه سياسة الاحتواء(Containment) حسبما خطط لذلك وزير الخارجية الأمريكي " دالاس" بهدف عزلها ، ثم تقليل نفوذها الخارجي لكى لا تمثل ضغطًا على جيرانها، وحتى تكون الظاهرة الصينية مجرد ظاهرة عرضية زائلة. (١)

ولتنفيذ هذه السياسة ، عمدت الولايات المتحدة إل تعزيز إنشاء شبكة من التحالفات العسكرية من كلٍ من اليابان ، وكوريا الجنوبية، وتايوان، بالإضافة إلى دول حلف السيتو (Seato) المؤلفة من كلٍ من تايلاند، والفلبين، والباكستان، كأعضاء أسيويين ، وكذلك حلف الأنزوس (Anzus)، المكون من أستراليا ونيوزلندة ، بالإضافة إلى الولايات المتحدة ذاتها. وهذه الأحلاف بطبيعة الحال، كانت بمثابة عزل واحتواء للصين. أما الصين ، فقد كان يضايقها ويستثير مشاعرها استمرار الدعم الأمريكي لنظام حكم " الصين الوطنية " الذي وقعت معه واشنطن معاهدة دفاعية في عام ١٩٥٤ . وكانت الصين تستند في مواجهة هذا التهديد المحدق بها إلى معاهدات مع الإتحاد السوفييتي ، ولكنها ما لبثت أن قامت ببناء قواتها الذاتية .

وعقب انتهاء الحرب الكورية ، وأثناء الفترة من ١٩٥٤-١٩٥٥ حاولت الصين عن طريق الضغط العسكري المحدود ، إزاحة الولايات المتحدة من المنطقة المجاورة للصين — أى من تايوان بوجه خاص. وبعد أن فشلت الصين في ذلك اتخذت سياسة أكثر ليونة ومرونة . في الفترة من ١٩٥٥ — ١٩٥٦ بهدف تحقيق أهدافها في تايوان بالأسلوب السياسي . ولكن هذه السياسة فشلت

(1) Barnet, A.D., China and the Major Powersin East Asia P. 179

بدورها، فعاد الصينيون مرة أخرى يجربون الضغط عام ١٩٥٨، مما أثار أزمة كبرى في مضيق تايوان للمرة الثانية - ذلك أن الولايات المتحدة أعلنت تعبئة قواتها في المنطقة، وعادت الصين مرة أخرى إلى أسلوب التفاوض.

ولكن يلاحظ أنه أثناء التفاوض المباشر مع الأمريكيين أن الصين أصبحت أكثر تشددًا وميلاً إلى اتخاذ مواقف دفاعية في ذات الوقت . وقد تبلور هذا الموقف نظرًا لتصاعد حدة النزاع بين الصين والإتحاد السوفييتي آنذاك - الأمر الذي أسفر عن فقدان الصين لدعم موسكو، مما جعل بكين في وضع رأت فيه نفسها محاصرة، يجري الضغط عليها من كلٍ من واشنطن وموسكو على حدٍ سواء. وبحلول عام ١٩٦٠، حينما اتضح الصدْع الصيني - السوفييتي، بدأ الخطر الصيني يتضاءل حجمه أمام أعين الأمريكيين، مما جعل الساسة الأمريكيين في النصف الأخير من عام ١٩٦٠ هم الذين يتوجهون نحو بكين للتفاوض معها .

تطور العلاقات الصينية - الأمريكية نحو التفاوض

لقد كانت المرة الأولى التي يتم فيها جلوس الأمريكيين والصينيين الشيوعيين حول مائدة المفاوضات بعد عام ١٩٤٩ في كوريا، حينما كانت الحرب الكورية على أشدها، وحيث أدرك الطرفان في عام ١٩٥١ أن قيام أيٍ من الطرفين بتحقيق نصر حاسم سوف يؤدى إلى توسيع رقعة الحرب بدرجة كبيرة. فلذلك أجتمع العسكريون من الأمريكيين، ومن كوريا الجنوبية، ومن الصين ومن كوريا الشمالية في شهر يونيو ١٩٥١ لمناقشة وقف إطلاق النار - الأمر الذي أسفر عن توقيع هدنة بانمونجوم Panmunjom)) في يونيو ١٩٥٣ .

وفي شتاء ١٩٥٣/ ١٩٥٤ ، اتجهت أنظار الصين والولايات المتحدة - بل وأغلبية العالم إلى دول الهند الصينية حينما بلغت الحرب الأهلية الدائرة هناك منذ أعقاب الحرب العالمية الثانية حدًا حرجًا . ولكن الملاحظ أن الصينيين لم يجدوا في هذه الحرب الدائرة في الهند الصينية تهديدًا مباشرًا لهم بمثل ما حدث بالنسبة للحرب في كوريا الشمالية التي كانت تعتبر كمنطقة عازلة كما سبقت الإشارة .

بداية الإنفتاح الأمريكي تجاه الصين

كان الرئيس الأمريكي " نيكسون" يقوم برحلة امتدت لبضعة أسابيع ، طاف فيها حول العالم في أواخر يوليو وبداية أغسطس ١٩٦٩ ، وتوقف فيها في كل من فيتنام الجنوبية ، والهند ، والباكستان ، ورومانيا، وعمد الرئيس الأمريكي أثناء وجوده في كل من إسلام أباد وبوخارست إلى الكشف عن فكرته الداعية إلى الانفتاح نحو الصين أمام كل من الرئيس الباكستاني يحى خان ، والرئيس الروماني نيكولاى تشاوشيسكو ، موضحًا أيضًا أن الولايات المتحدة بسبيل الجلاء الكامل عن فيتنام ، وأنه يريد التحدث إلى الصين في هذا الخصوص. وقد وعد كل من يحي خان ، والرئيس الروماني تشاوشيسكو اللذان كانا يرتبطان بعلاقات ودية مع بكين بإبلاغ هذه الرغبة إلى المسؤولين الصينيين .

وحينما هبطت طائرة "نيكسون" في "جوام"، أوضح الرئيس الأمريكي سياسته هذه التي صارت تعرف بمبدأ "نيكسون" (Doctnine Nixon)، والتي تتضمن رسالة موجهة للصين ، بأن عصر التدخل الأمريكي في الحروب الهامشية قد ولىَّ إلى غير رجعة. وألمح نيكسون إلى أن الولايات المتحدة مستعدة في ذات الوقت للوفاء بتعهداتها بالمال والمعدات لحلفائها ، ولكن ليس بالرجال — إلا في حالة ما يكون الخطر الذي يلحق بحلفائها آتياً من جانب دولة نووية. ويقتضي تطبيق هذا المبدأ حتمية تخفيض التواجد الأمريكي في آسيا. وقد أشفع "نيكسون" هذا الاتجاه بالإعلان عن عدة إشارات نحو التصالح مع الصين تضمنت ما يلي :

— أنه ابتداء من ٢١ يوليو ١٩٦٩ صدرت التعليمات تجيز لرجال الجامعات الأمريكيين والصحافيين والطلبة ، والعلماء وأعضاء الكونجرس مد صلاحية جوازات سفرهم تلقائياً للسفر إلى الصين ، وكذلك السماح للسياح الأمريكيين بالشراء في حدود مائة دولار ١٩٦٩ من البضائع الصينية.

— وفي ٨ أغسطس ١٩٦٩ عبر وزير الخارجية الأمريكية "روجرز" عن رغبة الحكومة الأمريكية في استئناف محادثات وارسو التي كانت قد بدأت منذ

عام ١٩٥٥ بين الصين والولايات المتحدة.

- وفي ٧ نوفمبر ١٩٦٩ قامت الحكومة الأمريكية بوقف الدوريات البحرية في مضيق تايوان. وكانت هذه الدوريات تجرى على قدم وساق منذ نشوب الحرب الكورية - أي منذ ١٩ عامًا.

المهم أن هذه السلسلة من الإشارات التي وجهتها حكومة نيكسون قد تزامنت مع الصدام العسكري بين الصين والإتحاد السوفييتي على طول الحدود الممتدة بين البلدين حتى كادت الدولتان الشيوعيتان أن تدخلا في حرب معلنة بينهما.

وفي بداية أكتوبر ١٩٦٩، أبرق "هنرى كيسنجر" إلى السفير الأمريكي في وارسو " والتر ستوسل" (Walter Stoessel) لإبلاغ السفير الصيني هناك بالرغبة الأمريكية في استئناف مباحثات وارسو. وتم بالفعل تقابل السفيرين في السفارة الصينية في العاصمة البولندية في ١١ ديسمبر ١٩٦٩، وتم الاتفاق على استئناف محادثات وارسو. ولأول مرة كان رد الصينيين إيجابيًا على استئناف الاتصالات الدبلوماسية مع الأمريكيين.

والجدير بالذكر، أن ذلك لم يكن حبًا في أمريكا بقدر ما كان خوفًا من التهديدات السوفييتية، حينما كانت المحادثات بين بكين وموسكو قد وصلت في شهر ديسمبر ١٩٦٩ إلى طريق مسدود، وشرعت موسكو في القيام بهجمات عسكرية جديدة اعتبرتها بكين بمثابة تهديد خطير بالحرب.

وعمد الرئيس "نيكسون" إلى التقدم خطوة جديدة - تمثلت في إشارة جديدة صادرة منه شخصيًا هذه المرة - إذ أرسل نيكسون إلى الكونجرس تقريرًا خاصًا تحت عنوان " سياسة خارجية أمريكية جديدة للسبعينيات، وإستراتيجية جديدة نحو السلام ". ولقد أحتوى الجزء الخاص بالصين من هذا التقرير إطراءً واضحًا، وتلميحات كثيرة منها : "..... إلى شعب عظيم مفعم بالحياة "،" .... الشعب الصيني الموهوب المثقف"، منوهًا في هذا التقرير عن روابط الصداقة التاريخية مع الشعب الصيني، وكان هذا الجزء قد تمت صياغته، وتصحيح

عباراته عدة مرات من طرف كيسنجر –مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي –كما تضمن تعهدًا من جانب الولايات المتحدة باتخاذ " كافة التدابير المستطاعة لتحسين علاقتنا مع بكين".(١) بيد أن نيكسون لم يستخدم في هذا التقرير الاسم الرسمي للصين أى " جمهورية الصين الشعبية" –تاركًا ذلك لمرحلة قادمة من نفس العام.

رد الفعل الصيني على الإشارات الأمريكية

لقد كان أول رد فعل صيني تجاه هذه الإشارات الأمريكية ، قد بدا واضحًا في الاحتفال بالعيد القومي الصيني الذي يقام في الأول من أكتوبر من كل عام، حيث ظهر الزعيم الصيني " ماو –تسي تونج" مبتسمًا على منصة الاحتفالات ، وقد بلغ من العمر ٧٧ عامًا ، وظهر بالقرب منه الكاتب الأمريكي المشهور إدجار سنو (Edgar Snow قد ذهب في أواسط الثلاثينيات إلى القيادة الشيوعية الصينية في منطقة " ينان" كمراسل عسكري ، والذي صار في ذلك الحين صديقًا للرئيس " ماوتسي –تونج ".؟ وقد فهم المسؤولون الأمريكيون أن الزعيم الصيني قد منح مباركته للتحول الصيني تجاه واشنطن . وقد تحدث " ماو" مع إدجار "سنو" في ذلك اللقاء في موضوعات شتى أهمها أن الخلافات الأيديولوجية الصينية –السوفيتية ، قد وصلت إلى درجة لم تعد منذ ذلك الوقت قابلة للتصالح .

ولم تغفل وسائل الإعلام الأمريكية هذه الإشارات من جانب الرئيس " ماو تسي –تونج" . ومنذ ذلك التاريخ تخمرت في ذهن الرئيس الأمريكي ، ومستشاره كيسنجر فكرة العمل في سرية تامة للوصول إلى أن تكون المحادثات مع بكين على أعلى مستوى بدلاً من عقدها في وارسو. وظهرت فرصة جديدة ، تمثلت في حضور عشرات من رؤساء الدول في نهاية أكتوبر ١٩٧٠ إلى نيويورك للإحتفال بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لإنشاء هيئة الأمم المتحدة . وكان من بين هؤلاء الرئيس الروماني "نيكولاء تشاوشيسكو" ، والرئيس

---

(1) Kalb, M.B., Kissenger, ses Origires, Sa Formation, Son ascersion, son apogee. P. 222.

الباكستاني "يحي خان". كذلك، كان هذان الرئيسان يوم ٢٤ أكتوبر من بين ٣١ رئيس دولة دعتهم الحكومة الأمريكية لعشاء رسمى في البيت الأبيض. وأنتهز الرئيس الأمريكي الفرصة للتحدث مع الرئيس الباكستاني، الذي كان قد عقد النية على زيارة الصين في وقت قريب جدًا، فطلب إليه الرئيس الأمريكي إبلاغ المقترحات الأمريكية للمسؤولين الصينيين، معربًا عن رغبته في القيام بزيارة للصين في وقت يجري تحديده في المستقبل القريب.

رحلة كيسنجر إلى الصين

في ذات مساء من ربيع عام ١٩٧١، سلم السفير الباكستاني في واشنطن " أغا هلالي" مذكرة مكتوبة بخط اليد، موجهة إلى كيسنجر - هذه الرسالة التاريخية، كانت عبارة عن مذكرة في مظروف مغلق بالشمع الأحمر، دون مقدمة تحوى عبارات التحية المعتادة، وبدون أى توقيع، وكانت هذه الرسالة في حقيقة الأمر، علامة هامة على طريق التبادل الدبلوماسي بين البلدين، تضمنت دعوة مبعوث أمريكي للقدوم إلى بكين من أجل إجراء لقاءات تتم على مستوى عالٍ مع المسؤولين الصينيين. واقترحت المذكرة اسمين "" روجرز أو كيسنجر". وعلى الفور وقع اختيار الرئيس الأمريكي على كيسنجر.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ التنفيذ العملي للعمل في سرية تامة، والشروع في إجراء سلسلة من التحركات الرامية إلى تهيئة الشعب الأمريكي لعملية انفتاح تاريخي باتجاه الصين. وفي حين تكتم الأمريكيون كل خطوة في هذا السبيل، كان الصينيون يتعمدون الإعلان عن هذا الاتجاه.

ثم جاءت فرصة دفعت بعملية الاتصال خطوة نحو الأمام، وتمثل ذلك في وجود تصفية نهائية للمباراة الدولية لكرة الطاولة (البنج - بونج) في يوم ٦ إبريل عام ١٩٧١ في اليابان. وبادر المسؤولون عن الفريق الصيني بدعوة الفريق الأمريكي للقيام بجولة في ربوع الصين، سرعان ما تحولت هذه الإشارة الرياضية إلى إشارة سياسية في سبيل تحسين العلاقات الصينية - الأمريكية. واستفسر السفير الأمريكي في طوكيو من واشنطن عن إمكانية جعل جوازات

السفر الأمريكية صالحة لزيارة الصين ، وجاء الرد بسرعة مذهلة بالإيجاب .

وفي مساء نفس اليوم ، دعا نيكسون إلى عقد جلسة استثنائية لمجلس الأمن القومي ، وطلب إلى مستشاره كيسنجر عرض الخطوط العريضة للسياسة الأمريكية الجديدة إزاء الصين ، غير أنه لم يتم إحاطة أى عضو من أعضاء مجلس الأمن القومي — سوى روجرز — بشأن الدعوة السرية التي قدمها الصينيون لإرسال مبعوث أمريكي على مستوى عالٍ ، كما لم يتم إحاطة أى عضو سواه بالرد الأمريكي المؤقت على هذا العرض — وإن كان أغلبية أعضاء مجلس الأمن القومي قد صفقوا بوجه عام استحسانا لمبادرة الرئيس نيكسون تجاه الصين فيما بعد .

ولقد عكف الرئيس نيكسون ومستشاره كيسنجر بمفردهما على قراءة المذكرات السرية التي ترد من بكين ، واستعرضا معا المسائل التي يحتمل إثارتها من خلال المفاوضات السرية المرتقبة مع الصين . وكانت أبرز هذه المسائل هى : سياسة الولايات المتحدة الجديدة إزاء تايوان ، وانضمام بكين إلى هيئة الأمم المتحدة ، وانسحاب الجنود الأمريكيين من الهند الصينية ، وكذلك درجة تطبيع العلاقات بين واشنطن وبكين .

ولقد تحدد موعد الزيارة الرسمية التي يقوم بها كيسنجر ، ليكون في الفترة من ٩ — ١١ يوليو ١٩٧١ . وقد أُحيطت هذه الزيارة بأعلى درجة من الكتمان . وغادر كيسنجر القاعدة الجوية في أندروز في أول يوليو . وسرت به هذه الرحلة — التي أُضيف إلى سريتها درجة عالية من التمويه — إلى الوصول في ٨ يوليو إلى العاصمة الباكستانية إسلام أباد. وكان الرئيس " يحى خان " على علم كامل بالمذكرات السرية المتبادلة بين واشنطن وبكين ، وكذلك بخط سير الرحلة ذاتها.

وفي إسلام أباد زار كيسنجر يحى خان زيارة مجاملة . ولقد كان من المعتقد لدى الأوساط السياسية أن وجهة هذه الرحلة هو باكستان الشرقية، حيث كانت الأزمة بين الرئيس يحي خان وبين حكام إقليم البنغال قد توترت إلى حد بعيد . ولم يدر بخلد أحد أن كيسنجر في طريقه إلى الصين . وفي إطار التمويه الكامل

لهذه الرحلة المثيرة ، كان الأمر يقتضي أن يعتذر كيسنجر – تحت دعوى الإرهاق في هذه الرحلة الطويلة – عن عشاء كان قد أقيم على شرفه ، وواقع الأمر ، أن هذا العشاء كان قد أعد فعلاً بهدف إلغائه. كذلك إقتضى الأمر – إمعانًا أيضًا في التمويه – أن يذهب كيسنجر إلى استراحة في أعالي الجبال في منطقة ناتيا – جالي (Natia Gali) على إرتفاع ٢٨٠٠ مترًا للاستجمام السريع – بل إن الحكومة الباكستانية ، إمعانًا منها في التمويه ، أعلنت أن كيسنجر سوف يُضطر إلى مد أجل إقامته في هذه الاستراحة بسبب وعكة صحية ألمت به .

ولكى تستكمل المسرحية السياسية فصولها ، كان ينبغي أن يكون ذهاب كيسنجر إلى ناتيا – جالي – المدعى زيارته لها • على مرأى ومسمع من الجميع ، لذلك اقتضى الأمر أن يكون هناك موكب ضخم من السيارات رافعًا العلمين الأمريكي والباكستاني وأن يسير هذا الموكب في شوارع إسلام أباد ، ومن هناك إلى الجبل . وقد أُوكل أمر هذه العملية إلى وكيل وزارة الخارجية الباكستانية ، الذي كان يشغل منصبين دبلوماسيين من قبل في بكين ، وأُنيطت به مهمة الإشراف على هذه الخدعة .

ومما يذكر في هذا الصدد ، أنه تم استدعاء طبيب باكستاني لمعالجة كيسنجر بعد أن تأكد وكيل الخارجية الباكستاني من أن هذا الطبيب لا يستطيع التمييز بين شخصية كيسنجر ، وبين أى شخص أوروبي آخر . ومن مفارقات القدر ، أن الطبيب عالج بالفعل شخصًا من أعضاء الخدمة السرية الأمريكية الذي كان يعاني فعلاً من المرض الذي قيل أن كيسنجر يشكو منه .

وحقيقة الأمر ، أن كيسنجر لم يذهب مطلقًا إلى ناتيا – جالي بعد لقائه مع يحي خان بعد وصوله إلى إسلام أباد ، فكان قد انسحب إلى قصر الضيافة ، وظل هناك حتى حلول الساعة الثانية والنصف صباحًا حيث ذهب إلى وكيل الخارجية الباكستاني ، السلطان محمد خان ليذهبا سويًا إلى مطار إسلام أباد حيث يستقل طائرته من هناك إلى بكين . وقد وصل الاثنان بالفعل إلى مطار إسلام أباد بعد الثانية صباحًا بقليل ليستقل كيسنجر الطائرة الباكستانية التي دخلها قبل إقلاعها

مباشرة أربعة من كبار المسؤولين الصينيين كان قد أرسلهم " شو إين لاى " إلى هناك، وكانوا مقيمين في العاصمة الباكستانية في سرية تامة .

ووصلت الطائرة التي تقل كيسنجر إلى بكين في وقت الظهر تمامًا، وسرعان ما تم اللقاء بينه وبين رئيس الوزراء الصيني "شو إين لاى".

وانصبت المحادثات الأولية على ثلاثة مبادئ أساسية هى : اعتبار تايوان جزءًا من الصين ، وأن يتم تقرير مصيرها السياسي من جانب الصينيين أنفسهم . وكان ذلك يعد تنازلاً كبيرًا من جانب الولايات المتحدة — إذ كان يعنى قلب سياسة استمرت عليها الولايات المتحدة على مدى عشرين عامًا كاملاً ، كانت تعامل فيها تايوان كبلد مستقل. أما المبدأ الثاني في تلك المحادثات ، فكان ينصب على مستقبل فيتنام الجنوبية ، بأن يتم تقرير مصيرها السياسي من جانب الطرفين الفيتناميين المتنازعين بعد وقف إطلاق النار. وكان المبدأ الثالث والأخير ، ينصب على أن تجرى تسوية المسائل الآسيوية بالطرق السلمية. وكان هذا المبدأ لا يتعلق فقط بتقسيم كوريا ، ولكنه كان يتعلق أيضًا بالتوتر على طول الحدود الصينية — السوفيتية . وإذن ، فقد كانت تايوان مسألة حيوية ، وهامة بالنسبة للولايات المتحدة — في حين كان النزاع الصينى — السوفيتي ، مسألة حيوية وهامة بالنسبة للطرفين الصيني ، والأمريكي على حدٍ سواء .

وبينما كانت هذه المحادثات تجري على قدم وساق ، قدم شو إين — لاى الدعوة الرسمية للرئيس نيكسون لزيارة الصين . وقد قبل كيسنجر الدعوة نيابة عن الرئيس نيكسون ، ولكنه أوضح أن الزيارة ينبغى أن تتم قبل شهر مايو ١٩٧٢ أخذًا في الاعتبار أن الرئيس الأمريكي نفسه كان قد أصدر تعليماته بأن رحلة هامة كهذه بالنسبة للسلم العالمي من ناحية، وبالنسبة لمستقبل العلاقات الصينية — الأمريكية من ناحية أخرى لا ينبغي الخلط بينها وبين الحملة الانتخابية الرئاسية لعام ١٩٧٢. وعلى أية حالٍ، فقد صدر البيان المشترك في ختام المحادثات على النحو الآتي ، والذي أذيع في وقتٍ واحدٍ في كلٍ من بكين وواشنطن :

" لقد أجريت محادثات بين رئيس الوزراء شو إين – لاى ، والدكتور هنرى كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون لشؤون الأمن القومي في بكين في الفترة من ٩ – ١١ يوليو ١٩٧١ وعلمًا بالرغبة التي عبر عنها الرئيس نيكسون في زيارة الصين الشعبية ، فإن رئيس الوزراء شو إين – لاى قدم باسم حكومة جمهورية الصين الشعبية دعوة للرئيس نيكسون لزيارة الصين في وقت مناسب قبل حلول شهر مايو . ولقد قبل الرئيس نيكسون بغبطة هذه الدعوة . إن الاجتماع الذي تم بين حكام الصين والولايات المتحدة يهدف إلى تطبيع العلاقات بين البلدين ، وأن يسمح أيضًا بتبادل وجهات النظر التي تهم الجانبين.(١)

أصداء البيان المشترك

واقع الأمر ، أن العلاقات بين الولايات المتحدة ونظام الحكم في تايوان كانت أدق المسائل المطروحة بالنسبة لبكين وواشنطن على حدٍ سواء. ذلك لأن التنازلات التي قدمها كيسنجر إلى شو إين – لاى حين أقر أن تايوان تشكل جزءًا من الصين – قد ذهبت هذه التنازلات – إلى الاقتراب من حل هذه المسألة الحادة، ولكنها لم تصل في ذات الوقت إلى حد التعهد الأمريكي بذلك ، فقد كان على الولايات المتحدة أن تتخذ إجراءين في هذا الصدد :

أولهما ، البدء في تخفيض حجم الحامية الأمريكية التي كانت تبلغ ٩٠٠٠ جندي أمريكي في تايوان.

أما الإجراء الثاني، فكان يتعلق بالسياسة الأمريكية بالنسبة لتمثيل الصين في الأمم المتحدة .

فلقد ظلت تايوان على مدى اثنين وعشرين عامًا ، تعتبر هى الصين في الأمم المتحدة بفضل جهود الولايات المتحدة ومساندتها الواضحة لها . ونظرًا لأن كيسنجر قد أقر بأن تايوان ما هى إلا إحدى المقاطعات الصينية ، فإن هذا الزعم يكون قد تقوض من أساسه ، لذلك فإن هذا التبدل في الموقف الأمريكي تجاه تايوان يتطلب انتهاج الولايات المتحدة لسياسة جديدة . والحقيقة ، هى أن

(1) Kalb, M.B. Ibid. P. 242

الولايات المتحدة صارت تميل منذ خريف عام ١٩٧٠ نحو وجود نظامين للصين ، وبالتالي أن يمثل الصين في الأمم المتحدة نظامان . وها هى الولايات المتحدة تجد نفسها فجأة – منذ أغسطس ١٩٧١ وقد أعلنت على لسان وزير خارجيتها، سياسة خارجية جديدة. إذ أُعلن أنه منذ ذلك التاريخ فصاعدًا أن الولايات المتحدة سوف تساند دخول بكين إلى الأمم المتحدة ، وكذلك مطالبتها بمقعد الصين في مجلس الأمن ، ولكنها سوف تعارض في الوقت ذاته أية محاولة ترمي إلى حرمان تايوان من انضمامها للأمم المتحدة أو من مقعدها في الجمعية العامة .

وفي بكين أوضح كيسنجر لشو إين – لاى بصورة إجمالية السياسة الأمريكية الجديدة ، وأحاطه ضمنًا بأن الولايات المتحدة سوف تحاول الحفاظ لتايوان على مقعدها في الأمم المتحدة ، على أن تناضل بكين لمعارضة هذا الجهد ، والتغلب عليه إن تيسر لها ذلك ، وأن على الجانبين أن يقبلا ما تحكم به الأمم المتحدة حينذاك.[1]

رحلة الرئيس نيكسون إلى الصين

لقد بدأت هذه الرحلة التاريخية في ٥ أكتوبر ١٩٧١ في حين كانت هيئة الأمم المتحدة تستعد للتصويت على انضمام الصين الشعبية إليها . وكان على كيسنجر وهو بصدد الإعداد لهذه الرحلة أن يتحاشى ما يمكن أن يعكر صفو إتمامها بنجاح على عدة أصعدة ، منها العلاقات مع اليابان ، فلم يفت شو إن – لاى أثناء محادثاته مع كيسنجر أن يعبر عن مخاوفه من احتمال تصاعد الروح العسكرية اليابانية . وكان الرئيس نيكسون قد عمد في حركة مفاجئة في ١٥ أغسطس ١٩٧١ إلى تخفيض قيمة الدولار وهو يعلم علم اليقين ما يحدثه هذا التخفيض من آثار مدمرة على الين الياباني .

الأمر الثاني ، هو أن كيسنجر كان قد عمد بعد زيارته التمهيدية الأولى للصين في ١٦ يوليو الإشارة إلى أن الولايات المتحدة لا تنوي بانفتاحها على الصين

(1) Kalb, M.B. Ibid. P. 244

المناورة بذلك ضد الروس ، فهناك نواحى أخرى للضغط على الإتحاد السوفييتي، من أمثال توقع قيام الصين بالمساهمة في وضع حدٍ للحرب الدائرة في فيتنام ، وكذلك تشجيع الصينيين على التعاون في مجال السلاح النووي. ولم تنقض سوى أسابيع قليله على هذا التصريح حتى بادر نيكسون بنفسه بكشف النقاب في ٤ أغسطس عن أنه أثناء لقاءاته السنوية مع وزير الخارجية السوفييتي في عام ١٩٧٠ حين كان في زيارة لواشنطن تم الاتفاق على عقد اجتماع على أعلى مستوى ، وأنه لا جدوى من هذا الاجتماع إلا إذا تم إدراج مسألة ذات ثقل خاص لدى الأمريكيين على جدول أعمال هذا الاجتماع ، وأن هذه المسألة لا يمكن معالجتها بأساليب أخرى. ثم اقترح الرئيس نيكسون أن يكون هناك موقف أمريكي أكثر تعاونًا بالنسبة لبرلين من جهة ، ومسألة نزع السلاح النووي من جهة أخرى حتى تتوافر مبررات عقد هذه القمة .

وحقيقة الأمر ، أن هذا " التاكتيك" الأمريكي كان ناجحًا إلى أبعد الحدود. ففى ٢٩ سبتمبر وأثناء اجتماع نيكسون وجروميكو ، عبر الرئيس الأمريكي عن إحراز تقدم على صعيد عدد من المشكلات بالنسبة لكلا البلدين ، وعبر عن أمله في أن يتم عقد قمة موسكو المرتقبة . وفي ٣٠ سبتمبر تمكن جروميكو ، وروجرز من توقيع اتفاقية لتهيئة المناخ المناسب لمزيد من تحسن العلاقات السوفييتية – الأمريكية .

وكان أحد هذين الاتفاقين ينصب على تحسين الخط التليفوني الساخن بين موسكو وواشنطن. وكانت الاتفاقية الأخرى تتعلق بتوفير الطرق الفنية لمنع وقوع حوادث نووية . وما لبث الأمر، حتى أمكن في ١٢ أكتوبر ١٩٧١ إحراز تقدم هام في مسألة برلين فلقد توصل الشرق والغرب إلى اتفاق حول تسوية مبدئية للمشكلة الناجمة عن وضع هذه المدينة .

وفي ١٢ أكتوبر ١٩٧١ أعلن الرئيس نيكسون عن قبوله الدعوة الموجهة إليه لزيارة موسكو خلال الجزء الثاني من شهر مايو ١٩٧٢. لذلك يمكن القول بأن زيارة نيكسون لبكين ، قد عملت دون أدنى شك على جعل موسكو أكثر تعاونًا بالنسبة لعلاقاتها مع واشنطن.

لقد تمت زيارة الرئيس نيكسون للصين في ٢١ فبراير ١٩٧٢، واستمرت هذه المقابلة التاريخية بين الرئيس الأمريكي، والزعيم الصيني " ماوتسى -تونج" أكثر قليلاً من ساعة من الزمن، تم الحديث خلالها بصفة إجمالية عن تايوان، والهند الصينية، والصراع ضد الهيمنة السوفييتية، وأهمية تطوير العلاقات بين الصين والولايات المتحدة.

على أن المباحثات المعمقة بعد ذلك، كانت تتم بين الرئيس نيكسون وشو اين -لاى في جلسات محددة، ابتداء من يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٢، حيث بدأ نيكسون وكيسنجر، وشو اين -لاى محادثات سرية في قاعة الشعب الكبرى. وكانت أولى هذه الجلسات المعمقة قد استغرقت نحو أربعة ساعات كاملة. ومما تجدر الإشارة إليه أن وجهات النظر لم تكن متطابقة في كثير من المسائل حتى غدا إصدار بيان مشترك من الأمور شديدة الصعوبة.

غير أن كيسنجر كان قد فطن إلى أن الصينيين أكثر احتياجًا من الأمريكيين لصدور مثل هذا البيان المشترك لسببين: أولهما، لتبرير زيارة الرئيس نيكسون لبلادهم، وثانيهما، لكى يقدموا أمام أعين الروس نموذجًا حيًا للتعاون الصيني -الأمريكي. لذلك أيقن كيسنجر أن على الصينيين أن يتقدموا بالخطوة الأولى للخروج من مأزق البيان المشترك. وفي النهاية اهتدى كل من كيسنجر، وشو اين -لاى إلى الحل المنشود. وقد تمثل ذلك، في الاتفاق على أن يتضمن البيان المشترك أقسامًا منفصلة تمامًا: قسم منها يعبر عن وجهة النظر الأمريكية بالنسبة لمسألة من المسائل مثل فيتنام، وقسم آخر يعبر عن وجهة النظر الصينية.

وكانت الفقرة الصينية المقدمة للبيان المشترك كما يلي:

" إن مشكلة تايوان هى العقبة الرئيسية في سبيل تطبيع العلاقات بين الصين والولايات المتحدة، إن حكومة الصين الشعبية هى الحكومة الشرعية الوحيدة للصين -أما تايوان فهى إحدى مقاطعات الصين عادت إلى وطنها الأم منذ وقت طويل. وتحرير تايوان هو أمر داخلي بالنسبة للصين، وليس لأى بلد حق التدخل فيه، ويتعين سحب القوات والمنشآت الأمريكية من تايوان ". " إن

الحكومة الصينية تعترض بشدة على كافة الأنشطة الرامية لإنشاء صين من ناحية، وتايوان من ناحية ، وعلى وجود صين واحدة بحكومتين ، وعلى دولتين للصين ، وعلى أى وضع يقول بأن تايوان مطروحة للتسوية ".

أما النص الأمريكي المقدم للبيان المشترك فكان كما يلي :

" إن الولايات المتحدة تقرر أن كافة الصينيين الموجودين على شاطئ مضيق تايوان يشكلون جزءًا من الصين ، وأن حكومة الولايات المتحدة لا تتشكك في هذا الوضع ، وتؤكد اهتمامها بوجود تسوية سلمية لمشكلة تايوان من جانب الصينيين أنفسهم . ومن هذا التصور ، فإنها تؤكد على الهدف النهائي الذي يرمي إلى سحب كافة القوات والمنشآت العسكرية من تايوان – وإلى أن يتم ذلك ، فإنها سوف تخفض بصفة تدريجية مالها من قوات ومنشآت عسكرية في تايوان بشرط أن يقل التوتر في المنطقة .[1]

ولقد تم الاتفاق بين الجانبين على أن يتضمن البيان المشترك ما صيغته النهائية هاتين الفقرتين اللتين تمت صياغتهما بدقة ومهارة لتقريب وجهات النظر من ناحية ، ويمكن لكل من الطرفين أن يفسرها بما يتفق مع وجهة نظره من ناحية أخرى – ذلك أن الصينيين يمكنهم التشديد على أن تايوان إن هى "إلا" مسألة داخلية لا ينبغى للولايات المتحدة أن تتدخل فيها . وفضلاً عن ذلك ، فإن الولايات المتحدة قد وعدت بسحب كافة ما لديها من قوات ومنشآت عسكرية. ومن جهة أخرى ، فإنه يكون باستطاعة الولايات المتحدة التشديد على أنها سوف لا تسحب كافة (Totalité) قواتها ومنشآتها إلا إذا تم حل مشكلة تايوان وتسويتها بطريقة سلمية – أو بمعنى آخر إلا إذا امتنعت بكين عن استعمال القوة كوسيلة لتحرير تايوان . وهذا ما تم التعبير عنه في الفقرة الأمريكية من البيان القائلة :" بشرط أن يقل التوتر في المنطقة "، أو بمعنى آخر بشرط أن تنتهى الحرب الفيتنامية التي كانت دائرة حينذاك. وبذلك تكون الولايات المتحدة قد أوعزت من ثنايا الفقرة التي قدمتها أنه إذا أراد الصينيون

(1) Kalb, M.B. Ibid. P. 270

الإسراع في الانسحاب الإمريكي من تايوان فما عليهم إلا أن يضغطوا على حليفتهم "هانوى" لقبول حل وسط بالنسبة للقضية الفيتنامية.

وقد تم الاتفاق بين الرئيس نيكسون ، وشو إن – لاى ، على إعلان البيان المشترك يوم الأحد ٢٧ فبراير في شنغهاى . ويهمنا الآن أن نرى مدى انعكاسات هذا البيان المشترك خاصة على الصعيد الأسيوى .

ففي "تايبية" عاصمة تايوان عم حكومة "تشيانج كاى شيك" حداد صامت. ولكن وسائل الإعلام التايوانية وصحافتها خرجت بمقالات شديدة اللهجة ، تستنكر بيان شنغهاى، وتعلن أن شعوب الباسفيك قد فقدت الثقة في وعود حليفتها واشنطن . أما في موسكو ، فقد شعرت الحكومية السوفييتية بالمرارة ، ولكنها لزمت جانب التحفظ على الصعيد الرسمي – وإن كانت الصحافة السوفييتية قد ألمحت إلى أن زيارة نيكسون للصين ليست إلا تحركًا مناهضًا للسوفييت.[1]

أما في طوكيو ، فإن حكومة " ساتو" سقطت ، وجاءت حكومة "تاناكا" بعد سبعة شهور ، وأعادت العلاقات الدبلوماسية مع الصين. وأما " هانوى"، فقد لاذت بالصمت، واتخذت سياسة فيتنامية أكثر استقلالا. وعلى أية حالٍ ، فقد كان هناك شعور يسود العالم أجمع بأن هذه المرحلة قد أوجدت وضعًا دبلوماسيًا عالميًا جديدًا ، وفتحت أبواب الصين على العالم.

وينبغي أن نشير إلى نقطة هامة، وهى أن تحسين العلاقات الصينية – الأمريكية قد انعكس أثره بشكل واضح على الأمم المتحدة في مسألة دعم دخول الصين عضوًا في الأمم المتحدة ، بعد سنوات من الاعتراض على مثل هذا التحرك. فقد تجاوز حماس الوفود – بعد علمهم بهذا الدعم – الهدف الأمريكي الرامى إلى الاقتصار على انضمام بكين في حين بقاء تايوان عضوًا في تلك المنظمة.

ففي جلسة عاطفية صاخبة في أكتوبر ١٩٧١ رفضت الجمعية العامة للأمم

(1) Kalb, M.B. Ibid. P. 274

المتحدة قرارًا أمريكيًا يقضى بوجود ممثلين اثنين للصين ، وصدر بدلاً عن ذلك قرار من الجمعية العامة بأغلبية ٧٦ صوتًا ضد ٣٥ يسمح لبكين بالانضمام للمنظمة وبطرد تايوان منها في نفس الوقت . كذلك ، فإن مقعد "الوطنيين" في مجلس الأمن قد آل إلى نظام الحكم في بكين — أى بعد ٢٢ سنة من انتقال السلطة إلى أيدي ذلك النظام.(١)

الجذور التاريخية للعلاقات الصينية – الروسية

تعتبر روسيا أقرب إلى أن تكون دولة من دول غرب آسيا بأكثر من كونها إحدى دول شرق أوروبا. وحقيقة الأمر، أن روسيا حتى فى عصرها الحديث لم تتخل عن سياستها الشرقية التي كانت تتبعها منذ زمن القيصرية. ولقد حقق لها اندفاعها نحو الشرق أراضي واسعة ، سوف تكون على نحو ما سنرى عائقًا في سبيل استمرار العلاقة الممتازة بين الصين وروسيا حتى بعد أن اعتنقت الصين المذهب الشيوعي .

ونلاحظ أن الاندفاعة السوفيتية تتجه رويدًا رويدًا نحو أواسط آسيا الشرقية لتحتل أراضي هى في أساسها من أراضي الصين، وينصب حديثنا هنا على إقليمي سينكيانج ، ومنغوليا الخارجيه اللذين يجب ضم المنطقة المساة كوكو —نور إليهما . فهذه المناطق يقطنها سكان يتجاوز عددهم نحو أربعين مليونًا من البشر.

فبالنسبة لإقليم سينكيانج الذي أصبح يطلق عليه أسم " تركستان الصينية"، أو " تركستان الشرقية ، فهذا الإقليم عبارة عن هضبة صحراوية مرتفعة قاحلة. ولكن الجزء الغربي منها يرويه نهر تاريم ، وهناك تمتد مساحات مترامية خصبة ومراعي هامة ، فضلاً عن احتياطيات معدنية ضخمة ، ولقد عمل الإتحاد السوفيتي بطريقة منظمة على إخضاع "سينكيانج إلى أن استعمرها بكاملها عام ١٩٣٠ . وبعد أن بعث إليها بعدد من قواته ، وعدد من موظفيه ، أرسل إليها أفواجًا متتالية قوام كل منها عدة آلاف من عنصر القزق ، كذلك

(1) Link, A. Catton. W., American Epoch, A History of the Unitet States, Since 1900. Vol.111 P. 352.

عمل الإتحاد السوفييتي على بناء خط سكك حديد تركستان – سيبيريا لربط تركستان الصينية بطشقند في تركستان الروسية .

وعلى الرغم من جذور العلاقات بين الصين وروسيا ، أى بين أباطرة الصين، وقياصرة روسيا في القرن السابع عشر ، فلم تكن علاقات مودة بحالٍ من الأحوال ، وظل تاريخ هاتين الأمتين المتجاورتين منذ ذلك الحين ، وحتى أوائل القرن العشرين يمثل تاريخ إمبراطوريتين في حالةٍ من التصادم المستمر. لذلك ، فإنه حينما أعلن الزعيم الصيني " ماوتسى – تونج" في منتصف عام ١٩٤٩ بأن الصين سوف ينحاز إلى " جانب واحد " – باتجاه الإتحاد السوفييتي ، ثم حين وقعت بعد ذلك معاهدات مع روسيا للتحالف العسكري عام ١٩٥٠ تأكيدًا منهما على وحدة النظر إلى الأمور ، ووحدة المصالح والأهداف ، فإن ذلك الإعلان لم يكن متمشيًا مع طبائع الأمور متجاهلاً الحقائق التاريخية .

ولربما كان من المستحسن طرح هذا الموضوع مقسمًا إلى قسمين : أولهما ، تحت عنوان التحالف الصيني – السوفييتي ، على أن يكون القسم الثاني بعنوان " الصراع الصيني – السوفييتي ، نظرًا لأن هذا التحول قد تم بالفعل في أقل من عشر سنوات .

(١) مرحلة التحالف الصيني – السوفييتي

لقد تم توقيع هذا التحالف في ١٤ فبراير ١٩٥٠ حين كان الزعيم الصيني " ماوتسى – تونج" في موسكو للمشاركة في الاحتفال بمرور سبعين عامًا على ميلاد الزعيم السوفييتي " ستالين" . وظل كل من الزعيمين منهمكين في التفاوض لإبرام معاهدة ترمي إلى إستبدال المعاهدة القديمة التي كان قد أبرمها الإتحاد السوفييتي مع "تشيانج – كاى شيك " على عجل يوم تسليم اليابان في الحرب العالمية الثانية – أما المعاهدة الجديدة التي وقعها كل من " فيشينسكي" عن الإتحاد السوفييتي ، و"تشو إين – لاى" عن الجانب الصيني ، فكان نصها كما يلي : " إنها معاهدة تحالف وصداقة ، وتعاون متبادل مدتها ٣٠ عامًا قابلة للمد خمسة سنوات – إلا في حالة طلب فسخها قبل موعد انتهائها بسنة "، وقد

تعهد الطرفان في ستة مواد منها ، باتخاذ كافة التدابير التي من شأنها تجنب عودة اليابان إلى القيام بأعمال عدوانية . " أو أية دولة أخرى تنضم إلى اليابان بصفة مباشرة أو غير مباشرة لهدف عدواني ". وفي هذه الحالة ، يهب الطرف الأول لمساعدة الطرف الثاني عسكريًا – بهدف التعاون لإرساء السلام في العالم ، والإسراع في إبرام معاهدة سلام مع اليابان بصفة مشتركة مع كافة الدول المعنية .

وكذلك نصت المعاهدة على عدم التحالف أو الدخول طرفًا في أى تحالف موجه ضد الطرف الآخر من المعاهدة ، وأن يجري التشاور بين طرفي المعاهدة بشأن المشكلات الكبرى التي تتعلق بحفظ السلام في العالم ، واحترام سيادة وتكامل الطرف الآخر على أساسٍ من المساواة الكاملة .

غير أن النجاح الأكبر الذي حققه ماو تسى – تونج كان يكمن في الملحق الذي أرفق بتلك المعاهدة. وكان ملحقًا وحيدًا يتعلق بتسوية الوضع بالنسبة لخط سكك حديد " تشانج – تشوان" ، الأمر الذي يعني ربط مصير منطقتي جنوب منشوريا وشرقي الصين معًا ، وكذلك مصير ميناء بورت آرثر ، ودايرين. ففى مقدمة هذه الوثيقة ، لم يتردد "ماوتسى – تونج" في الإعلان عن أن الأوضاع قد تغيرت تغيرًا جذريًا منذ عام ١٩٤٥ . فهاهى اليابان قد تمت هزيمتها ، وهاهو الكومنتانج لم يعد قائمًا ،وهاهى ذي جمهورية صينية شعبية صديقة للإتحاد السوفييتي قد وُلدت من جديد .. . وأن الإتحاد السوفييتي يتعهد بالتنازل للصين عن كل حقوق الملكية عن الخط الحديدي بمجرد توقيع معاهدة سلام مع اليابان "، " وأن ذلك لن يتعدى في كافة الأحوال ٣١ ديسمبر ١٩٥٢ . كذلك قبل الإتحاد السوفييتي بنفس الشروط ولنفس المهلة والتاريخ انسحاب قواته من "بورت آرثر". وأن يُسلم للصين كافة المؤسسات المتعلقة بالميناء، أما بالنسبة لمصير ميناء "دايرين "، فلم تتحدد تمامًا ، ولكن تم النَص على أن تكون إدارة الميناء بكاملها من الصينيين.[1]

(1) Gnousset, Op.cit. P.427

لقد كان هذا التحالف الذي جسدته معاهدة ١٩٥٠ موجهًا في أساسه ضد الولايات المتحدة واليابان ، ذلك أن حجر الزاوية في السياسة الخارجية الصينية ظل خلال السنوات العشرة التالية لعام ١٩٤٩ يتمثل في تحالفها مع الإتحاد السوفييتي. ولم يقتصر هذا التحالف على المجال العسكري ، وإنما كان يشمل العلاقات الاقتصادية ، والعلمية، والتعليمية، وعددًا آخر من المجالات المتشعبة. ولقد كان من أبرز العوامل التي دفعت قادة بكين في تحالفهم مع السوفييت إلى توثيق روابطهم معهم نظرة أيديولوجية مشتركة . فقد كان الطرفان يعتقدان أن لهما عدوًا مشتركًا ، كما أن ما لديهما من قيم ، ربما تعمل على توحيد البلدين ويحول دون قيام أى تعارض بين المصالح القومية لهما .

على أن هذا التحالف مر بتجربة قاسية ، ولما لم ينقض عام كامل على إبرامه حيث نشبت الحرب الكورية ، ومعلوم أن هذه الحرب بدأت من جانب كوريا الشمالية بموافقة "ستالين " الذي كان يظن أن هذا الهجوم سوف يتمخض عن حدوث ثورة في كوريا الجنوبية ، وأن الولايات المتحدة سوف لا تدخل طرفًا في هذه الحرب . ولقد تم إبلاغ خطة هذه الحرب إلى الزعيم "ماوتسي – تونج" الذي لم يكن في حسبانه تدخل الصين في هذه الحرب .

ولكن الأمور تطورت ، حيث تدخلت قوات الأمم المتحدة ومعها قوات الولايات المتحدة في كوريا ، وصار موقف كوريا الشمالية متداعيًا ، كما أن الولايات المتحدة تدخلت من جديد في تايوان . لذلك وجدت الصين نفسها مهددة – ليس فقط من ناحية كوريا الشمالية التي تمثل نطاقًا عازلاً بالنسبة للصين كما تمت الإشارة ، وإنما وجدت نفسها مهددة أيضًا في عقر دارها بالخطر . لذلك بادرت بإرسال موجات من قواتها إلى كوريا بدعوى أنهم من " المتطوعين " – الأمر الذي انتقده "خروشوف" فيما بعد ، حينما أشار إلى أن هذا الأسلوب المتعالي الذي اتبعه سلفه "ستالين" في العلاقات مع الصين قد أساء إلى هذه العلاقة ، وأنه ربما لو لم يكن ستالين قد وافته المنية عام ١٩٥٣ ، لكان الشقاق قد أصاب العلاقة بالضرر في مرحلة مبكرة عما تمت فيه .

غير أن بذور الشك قد وُضعت حينما طلبت موسكو مقابلاً للدعم العسكري للصين ، وتمثل ذلك في طلبهم حقوقًا خاصة في خطوط سكك حديد "تشانجشون" (Changchun)، وفي ميناء "بورت آرثر" ، وفي "منشوريا ، وسينكيانج". ونظرًا لأن الحرب الكورية كانت لا تزال تدور رحاها على قدمٍ وساق ، فإن الصينيين كانوا يعتقدون أن مد أجل امتيازات الروس في بورت آرثر، وما طلبته موسكو هى أمور لازمة للدفاع عن الصين .

غير أنه من العجيب ، أن زيادة العلاقات في المجالين السياسي والاقتصادي كان مدعاة لحدوث إحتكاكات بين البلدين . فالروس ، كانت لديهم الرغبة في تقديم مساعدات اقتصادية كبرى –لكنهم اشترطوا في مقابل ذلك قيام الصين بسداد قيمة هذه المعونات . فأثناء الزيارة التي قام بها " ماو تسي –تونج" لموسكو في أوائل ١٩٥٠ وافق الروس على منح الصين مبلغ ٣٠٠ مليون دولار كسلفة للتنمية يجري تقديمها على خمس سنوات ،ويتم سدادها خلال العشرة سنوات التالية ، بسعر فائدة منخفضة هى ١٪ . وفي عام ١٩٥٤ قدم الروس معونة أخرى قيمتها ١٣٠ مليون دولار ، ولكن هاتين السلفتين كانتا الوحيدتين طويلتى الأمد اللتين قدمها السوفييت للصين ، وتم الإعلان عنهما على مدار عشر سنوات كاملة . والأكثر من ذلك ، كان إصرار الروس على دفع قيمة الإمدادات العسكرية التي يتلقاها الصينيون أثناء الحرب الكورية.

على أن السوفييت كانوا ينظرون إلى دعمهم المالي للصين على أنه معونات سخية –ذلك أنه لم يسبق لهم التعود على منح مساعدات اقتصادية على نطاق واسع إلى أى نظام حكم ، سواء كان ذلك النظام شيوعيًا أم غير شيوعي. أما الصينيون ، فقد كانت نظرتهم للدعم المالي السوفييتي على أنه ضئيل للغاية ، خصوصًا ، وأن السوفييت طلبوا من الصينيين ليس فقط دفع قيمة التجهيزات الصناعية ، ولكن أيضًا دفع قيمة المساعدات العسكرية لهم مما جعل الصينيين يتحملون في حقيقة الأمر عبء الحرب الكورية وحدهم .

غير أن انتهاء الحرب الكورية من ناحية ، ووفاة "ستالين" من ناحية أخرى ،

عمل على إحداث تغييرات هامة في العلاقات بين البلدين. وكان أبرز هذه التغيرات ، إتجاه الزعماء الجدد في موسكو عن عمد إلى جعل العلاقات بين البلدين أكثر مساواة ، العمل على إزالة ما علق بها من شوائب . فقد عملت الزيارة التي قام بها " خروشوف" و " بولجانين" عام ١٩٥٤ للصين على إيجاد فترة تتسم بالود المتبادل. وقام السوفييت بمنح فرص جديدة للتنمية في الصين ، ثم عمد القادة السوفييت أيضًا إلى إنهاء الحقوق الخاصة التي حصلوا عليها من الصين في عام ١٩٥٠، والأكثر أهمية من كل ذلك ، هو أنهم أظهروا احترامهم للكبرياء الصيني –بل إنه في عام ١٩٥٥ بلغ الحد ببعض القادة السوفييت بمن فيهم "مولوتوف" إلى الإشارة إلى أن الكتلة الشيوعية يتزعمها كل من الإتحاد السوفييتي والصين .

(٢) مرحلة الصراع الصينى –السوفييتي:

على الرغم من أن بوادر التوتر في العلاقات بين الصين والإتحاد السوفييتي بدأت في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين –إلا أن الصراع المكشوف بينهما لم يتفاعل بصورة جدية إلا في النصف الثاني من الخمسينيات . على أن هناك عدة عوامل أسهمت في تفاقم هذه العلاقات ، كان أهمها مسألة الأمن العسكري الذي مر في حقيقة الأمر بمراحل ثلاثة هى : الفترة من ١٩٥٧ –١٩٥٩، حينما أسفر توتر العلاقات عن تولد الشك بين الطرفين ، ثم الفترة من ١٩٦٢ – ١٩٦٣، حينما صار التحالف الصيني السوفييتي مفرغًا تمامًا من مضمونه ، وأخيرًا، الفترة من ١٩٦٧ –١٩٦٩ ، حينما تحولت المواجهة بين البلدين إلى مواجهه عسكرية. وسوف نرى ، كما سيأتى بعد ما أحدثه خطاب " خروشوف" في هذا السياق .

خطاب خروشوف

يرى الصينيون أن بداية الصراع الحقيقى حدث حينما ألقى خروشوف خطابه الشهير في عام ١٩٥٦ متضمنًا الهجوم على ستالين . وفي رأيهم ، أن خروشوف كان ينبغي عليه أن يستشيرهم ، أو أن يفصح لهم عن نيته قبل إلقاء هذا الخطاب،

في حين أن الروس كانوا يعتقدون بأن هجومهم على "ستالين" هو أمر يخصهم وحدهم . ويذهب الصينيون إلى القول بأن هذا الخطاب – كانت له أصداء واسعة بالنسبة للصين ، وبالنسبة للكتلة الشيوعية بأسرها . وأشد ما أصاب الصينيين بالانزعاج من خطاب خروشوف هو تأكيده على حتمية الحرب ، وإمكان التحول إلى الاشتراكية بغير عنف ، وترويجه لفكرة التعايش السلمي (Co-existence) Peaceful واعتبار كل هذه المفاهيم الجديدة بمثابة أساس للسياسة السوفييتية.

فلقد كان النموذج الثوري حسب مفهوم الزعيم الصيني " ماو تسي – تونج" يعتمد على العنف . وفضلاً عن ذلك ، فإن هذه الأفكار التي طرحها خروشوف كانت تتضمن الرغبة في التوصل إلى حلٍ توفيقي مع الدول الرأسمالية، وعلى وجه الخصوص مع الولايات المتحدة بكيفية جعلت بكين تستشعر أن وضعها سوف يصيبه الوهن في مواجهتها مع الولايات المتحدة ، وعلى وجه الخصوص بالنسبة لموضوع تايوان. على أنه لا ينبغي أن نغفل أثر الاضطرابات التي حدثت في عام ١٩٥٦ في بولندا أول الأمر ، ثم بعد ذلك في المجر في السيكلولوجية الصينية – إذ كان رد الفعل الصيني تجاه هذه الأحداث أن أدخلوا أنفسهم بطريقة مباشرة في شؤون شرق أوروبا وعملوا على بلورة فكر شيوعي صيني في مواجهة الأحداث السياسية التي تواجه العالم الشيوعي .

وإذا ما استعرضنا أهم الأحداث التي تجلي فيها الخلاف بين البلدين ، فيمكن الإشارة إلى أن خروشوف كان قد عقد العزم على تحقيق توازن إستراتيجي مع الولايات المتحدة من جهة ، وعلى تقليل مخاطر نشوب حرب نووية من جهة أخرى – الأمر الذي أملى عليه تدبير سياسة سوفيتية جديدة صوب الولايات المتحدة . ولقد أسفرت جهود خروشوف عن سياسة التعايش السلمي مع المعسكر الغربي ، التي تطورت بدورها لما سمى ": بالانفراج " (Détente) والذي بلغ ذروته بزيارته إلى واشنطن عام ١٩٥٩ .

ولقد كانت الصين تنظر بعين القلق إلى هذا الانفراج باعتبار أنه سوف يلحق

الضرر بالمصالح الصينية في منطقة "تايوان" ، وغيرها . ومن جهة أخرى ، كان الإتحاد السوفييتي ، باعتباره قوة نووية كبرى يخشى من احتمال أن تتفجر الصراعات العسكرية المحلية ، وتتحول إلى مواجهة بين القوى الأعظم. لكن الصينيين الذين لم يرقهم استمرار الأوضاع على ما هى عليه، كانوا يرون أن الصراعات المسلحة المحلية أمر لازم لا غنى عنه بالنسبة لنجاح الثورات . وكانوا يرون أن استعادتهم لجزيرة تايوان يستدعى تضافر قوى الصين ، والإتحاد السوفييتي معًا لمباشرة الضغط المنشود على الولايات المتحدة .

مأزق المعونة النووية السوفييتية للصين

بعد وفاة " ستالين" ، أيقن "ماوتسى –تونج" أنه لابد للصين من بناء قوة نووية لها. وبعد أن أعطى " ماوتسى –تونج" إشارة البدء لما أسماه " بالقفزة الكبرى إلى الأمام" في عام ١٩٥٨ قال محذرًا :" إنه يمكننا أن ننتج قنابل ذرية في فترة لا تتجاوز العشر سنوات ". واعتقدت الدول الغربية أن ذلك كان من قبيل التصريحات الدعائية ، لذا لم تأخذها مأخذ الجد .

ولكن بعد خمسة سنوات أخرى ، في عام ١٩٦٣ أعلن أحد القادة العسكريين الصينيين، قوله :" إن رئيس الوزراء السوفيتى نيكيتا –خروشوف" ادعى يومًا من الأيام أن الأسلحة الذرية مكلفة جدًا بحيث لو فكرت الصين في إنتاجها ، فإن ذلك سوف يكلفها غاليًا ، وبحيث لا يتبقى لديها من الأموال ما يكفيها لإنتاج البنطلونات لسكانها . وأنا أقول اليوم أنه يتحتم علينا إنتاج هذه الأسلحة، ونحن نلبس البنطلونات أو بدونها ". ولم تنقض سوى سنة واحدة حتى فجرت الصين قنبلتها الذرية الأولى في ١٦ أكتوبر ١٩٦٤.

ويرجع هذا النصر النووي إلى أنه ابتداء من عام ١٩٥٠ أخذ الجيش الصيني على عاتقه السيطرة على علوم الطبيعة النووية ، وتولى "شو إين –لاى" مهمة الإشراف على هذا المشروع. كذلك سيطر الجيش الصيني على عملية حشد العلماء الصينيين الذين كانوا لا يزالون مقيمين خارج الصين ، وكانوا حينذاك نحو عشرة آلاف –كان من بينهم أربعة آلاف أعمارهم مابين (٣٥ –٤٥ سنة) في جامعات ومعاهد أبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية .

ويجدر الآن التعرف في هذا المجال على الإسهام السوفييتي، نظرًا لأن عدم وفاء السوفييت في نظر الصينيين بما تعهدوا به سوف يتحول إلى قطيعة بسبب الشكوك المتبادلة . ففي بادئ الأمر، لم يدخر الإتحاد السوفييتي وسعًا في تقديم الحاسبات الإليكترونية، والمفاعلات النووية في نفس الوقت الذي كان فيه علماء الذرة السوفييت يلقنون هذه العلوم في الكليات الصينية . وتم إرسال عدد من الطلبة الصينيين إلى المعاهد والمعامل السوفييتية خصوصًا في دوبنة (Dubna)، وتم على أيديهم إعداد أكثر من ٣٨٫٠٠٠ متخصص صيني في هذا المجال في معاهد الإتحاد السوفييتي، وكان من بينهم ١٣٠٠ عالم، بالإضافة إلى ٧٥٠٠ طالب.(١)

وبالإضافة إلى ذلك، شرع الإتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٥٦ في بناء أول مصنع للعزل النووي على شاطئ النهر الأصفر، حيث تم استكشاف أكبر إرسابات من اليورانيوم عند نقطة لانتشو (Lantceou). وكان الزعيم الصيني " ماوتسي –تونج" ، ورئيس الوزراء السوفييتي خروشوف قد وقعا اتفاقا سريًا في ١٥ أكتوبر يقضي بتعهد الإتحاد السوفييتي بتقديم مواصفات قنبلة ذرية بصفة عينَّة من القنابل الذرية السوفييتية، وكذلك مفاعلاً ضخمًا مع مواد احتراقه حتى تبدأ باكورة مصنع لانتشو، وبمقتضى هذه المعاهدة السرية يتعهد السوفييت أيضًا بتوفير غطاء للصين الشعبية ضد احتمالات قيام الأمريكيين بالعدوان على الصين. ولكن بات واضحًا بمرور الوقت أن السوفييت لم يكونوا جادين في إعطاء بكين آية وسائل إستراتيجية هجومية ضد تايوان، نظرًا لأن ذلك قد يتسبب في دخول الإتحاد السوفييتي في صراع مباشر مع الأمريكيين . لذلك سمح الكرملين في ٢٠ يونيو ١٩٥٩ –وبعد الحملة الصينية الفاشلة على فرموزا– إلى فسخ هذا الاتفاق بما ترتب عليه من آثار بالغة في مستقبل العلاقات بين البلدين .

ولقد أعقب إلغاء هذه الاتفاقية مغادرة الخبراء السوفييت تاركين مصنع "

---

(1) Historama N°. Specical . P.P. 127-131

لانتشو" الذي لم يكن ينتج سوى ٢٥٪ من اليورانيوم المخصب بدلاً مما كان مقدرًا ، وهو نسبة ٩٣٪ . وفي هذا الظرف قبل علماء الطبيعة ، وعلماء الكيمياء الصينيون هذا التحدي .

رد الفعل الصيني إزاء الموقف السوفييتي

لقد كان الرد الصيني على مغادرة الخبراء السوفييت حاسمًا وفاعلاً. ففي مدينة " تشونج كنج" (Tchong-King) تم إعداد "مركز تجمع" لإستقبال كافة الوثائق العلمية الآتية من كل من الولايات المتحدة ، والإتحاد السوفييتي ، وأوروبا على حدٍ سواء ، بل من العالم أجمع حول كافة المواضيع العلمية ، مثل الصواريخ ، والمعدات الفضائية. والحقيقة أن اليابانيين أسهموا بتقديم الترانزستور الذي يستلزم استخدامه في الحاسبات الإليكترونية التي لا غنى عنها للحسابات الفورية لتحديد مسارات الصواريخ . ولم ينقض عشر سنوات إلا وكانت الصين قد استطاعت إعداد ما يقرب من ٦٠٠ر٠٠٠ عالم جديد في هذه الميادين .

بيد أن الخلاف حول الأسلحة النووية كان بلا أدنى شك واحدًا من أهم أسباب الصراع العلني المكشوف بين بكين وموسكو . فالصينيون يرون أن الروس لم تكن لديهم الرغبة الصادقة لدعم الصين لتحقيق مصالحها القومية لتظل معتمدة عليهم عسكريًا ، وأن تبقى مستظلة بالمظلة النووية السوفييتية إلى الأبد . ويرى السوفييت أن "خروشوف" كان قد وطد العزم في تلك الفترة على أن تكون الأولوية للرقابة على الأسلحة بما في ذلك السعي نحو منع الانتشار النووي. ويصير من المنطقي — والحالة هذه — أن يوقف الإتحاد السوفييتي مساعداته النووية للصين .

وهناك موضوع عسكري آخر أطّل برأسه في عامي ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ أسهم في توتر العلاقات وزيادة هوة الشقاق بين البلدين : فقد طلبت بكين مساعدات سوفيتية ضخمة لتوسيع، وزيادة قدرة الأسطول الصيني ، ولم يستجب السوفييت لهذا الطلب ، وقدم السوفييت بدلاً عن ذلك اقتراحا بإنشاء أسطول

صيني – سوفيتي مشترك ، وطلبوا السماح لهم باستخدام السواحل الصينية للسفن الروسية ، الأمر الذي رفضته بكين. ثم تطور نزاع الأراضي بين الصين والهند عام ١٩٥٩ ، ولم يقم السوفييت بما كان يتوقعه الصينيون منهم كدعم لحليفهم في نزاعهم مع الهند ، وبدلاً من أن تقوم موسكو بالضغط على نيودلهى – فإنها أخذت موقفًا محايدًا ، واستمرت حتى في تقديم المساعدات إلى الهند.

ومما يجدر ذكره أن بداية عام ١٩٦٠ شهدت – كما أسلفنا – الصراع العلني المكشوف بين البلدين. ولقد كان للصين دور المبادأة في بداية الستينيات في هذا الصراع – ذلك بالبدء في هجوم أيديولوجي على الإتحاد السوفييتي ، وكان ذلك بتدبير شخصي من الزعيم " ماو تسي – تونج" . وقد تضمن هذا الهجوم مقالة ظهرت في صحيفة الحزب الشيوعي الصيني " العلم الأحمر" تنطق بالمرارة ، وتصب جام غضبها على الإتحاد السوفييتي الذي تخلى عن مبادئ لينين ، وعن القيم الرئيسية للشيوعية . وكان عنوان هذه المقالة " فلتحيا اللينينية " ، وقد نعتت هذه المقالة السوفييت بأنهم التحريضيون الجدد (Revisionists). كذلك تضمنت المقالة توجيه الأنظار بالدرجة الأولى إلى استمرار الصراع الطبقي ، وإلى الحاجة لاستخدام العنف ، وإلى الثورة المسلحة ، وليس " التحول السلمي"، الذي دعت إليه السياسة الجديدة للسوفييت ، والتى أُطلق عليها " التعايش السلمي ".

رد الفعل السوفييتي على هذه الإتهامات

يهمنا الآن ، أن نرى كيف كان رد الفعل السوفييتي على هذه الحملة الضارية. لقد تمثل الرد السوفييتي في ضغط مضاد – ليس فقط على الصعيد الأيديولوجي ، وإنما باتخاذ إجراء "تأديبي" ضد الصين. فقد عمد السوفييت في صيف عام ١٩٦٠ إلى سحب كافة الخبراء السوفييت من الصين – تلك الخطوة التي كان لها تأثير مدمر على الاقتصاد الصيني ، ولقد كانت ذريعة الروس في ذلك أن الصينيين اعتبارا من ١٩٥٨ أصبحوا يتجاهلون نصائح المستشارين السوفيت ، وجعلوا حياتهم لا تطاق بالكيفية التي جعلت

السوفييت لم يعد أمامهم من سبيل سوى استدعائهم إلى موسكو. وقالت موسكو أن هذا الإجراء لم يكن أمرًا مفاجئًا ، وأنه أتى حصيلة سنوات من تصعيد هذه المعاملة السيئة .

وعلى الرغم من أن التهم التي وجهتها موسكو قد لا تخلو من حقيقة، إلا أن سحب الخبراء بهذه الكيفية المفاجئة لا يعدو أن يكون بمثابة إجراء تأديبي للرد على الضغط الأيديولوجي الذي باشرته بكين صراحة ، وربما كان الظن لدى السوفييت أن الصين سوف تستكين لشروطهم ، لكن بكين اتخذت موقفًا اتسم بالعناد ، والإصرار، رغم أن سحب الخبراء أصاب الاقتصاد الصيني بأضرار بالغة ، في وقت كان فيه الاقتصاد الصيني يعاني من متاعب جمة نتيجة الإخفاق في مشروع " القفزة الكبرى إلى الأمام " التي بدأتها الصين في عام ١٩٥٨ من ناحية ، ورداءة الطقس الذي تسبب في محصول زراعى غير مواتٍ من ناحية أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن الحزب الشيوعي الصيني كان بمجرد أن تقلد أمور الحكم في الصين اندفع نحو السيطرة على أراضي الأقليات الصينية في بعض المناطق، مثل أراضي القزق ، والأوجور ، ومنطقة إيلي ، وعلى المنغوليين في منغوليا الداخلية . وكان الحزب الشيوعي بإقدامه على هذا العمل قد عمل على انفصام المجموعات العرقية من نفس العنصر عبر الحدود عن بعضها البعض - الأمر الذي جعل الإتحاد السوفييتى في جمهورية منغوليا الشيوعية يتخذ إجراءات مشابهة . ولما زار "خروشوف" بكين لأول مرة عام ١٩٥٤ ، طرح الزعيم الصيني " ماوتسى - تونج" مسألة الوضع القانوني لمنغوليا الخارجية للبحث ، ورفض خروشوف رفضًا قاطعًا مجرد التطرق لهذا الموضوع .

ولكن بعد حلول عام ١٩٦٠ كانت الأوضاع قد تبدلت ، وتدهورت العلاقات بين البلدين ، حتى أصبحت الاحتكاكات على الحدود شديدة الخطورة ، وتدهورت الأوضاع في عام ١٩٦٢ حينما هاجرت أعداد ضخمة من القزق ، والأوجور من أرض الصين ذاهبةً إلى الإتحاد السوفييتي . وظل الحال على هذا المنوال حتى حلول ١٩٦٣/ ١٩٦٤ ، حيث تحولت مسألة الحدود إلى

صراع حول الدعاوى المتبادلة بشأن السيطرة على الأراضي.

ومن العجيب ، أن خروشوف قد ساهم في هذا الوضع — ذلك أنه في ديسمبر ١٩٦٢ أراد الرد على الانتقادات الصينية ، اللاذعة أثناء أزمة الصواريخ الكوبية ، فعَيَّر الصينيين ، ونعى عليهم موقفهم المتخاذل في مواجهة الإدارة الاستعمارية لكلٍ من " هونج كونج" ، ومكاو ، رغم كونها أرضًا صينية . فما كان من الصينيين إلا أن أثاروا كافة المعاهدات غير المتكافئة التي أبرموها في الماضي ، بما في ذلك المعاهدة المبرمة بينهم وبين الروس ، وقالوا بأن شروط هذه المعاهدات ينبغي أن تخضع للمراجعة من جديد . فرد السوفييت بالقول ، بأنه ليس هناك موضوعات قائمة تخص الأراضي تخضع للمراجعة — الأمر الذي حمل خروشوف في نهاية عام ١٩٦٣ على أن يبعث لكافة رؤساء الدول والحكومات يحثهم فيه على إبرام معاهدة دولية تستنكر استخدام القوة في حل المشكلات المتعلقة بالأراضي أو بالحدود القائمة .

ولقد أوضحت الصين أن روسيا القيصرية كانت قد استولت على أراضي صينية تزيد مساحتها على نصف مليون كيلو مربع من خلال تلك المعاهدات غير المتكافئة .. الأمر الذي تنظر إليه الصين في عهدها الحاضر على أنه لا مبرر له. وقد أشارت الصين إلى أنها قد لا تطالب بكافة الأراضي المتنازل عنها بموجب هذه المعاهدات ، إلا أن الإتحاد السوفييتي قد احتل مساحات إضافية حتى بخرقه هذه المعاهدات ذاتها ".

ولم يقتصر الصراع على هذا الحد من التدهور ، بل أسهمت أزمة الصواريخ الكوبية في عام ١٩٦٢ — كما سبق الإشارة — إلى زيادة هذا التدهور . وبعد انتهاء هذه الأزمة ، اتهم الصينيون الروس بالمغامرة الجامحة ، والعمل على دفع الأزمة ، ثم اتهموهم بالجبن والاستسلام أمام التهديد الأمريكي. على أن مثل هذه الاتهامات حدثت حينما كانت العلاقات السوفييتية — الأمريكية في أخطر مراحلها ، مما أثار حفيظة الروس، وحقدهم على الصينيين . كذلك ، وجه الروس الانتقادات إلى الصين بالمخاطرة الجامحة أثناء نزاع الحدود بينهم وبين

الهند الذي نتج عنه حرب الحدود في عام ١٩٦٢ – الأمر الذي جعل الروس يقدمون الدعم إلى الهند بتزويدهم بشحنات الأسلحة، رغم نشوب هذه الحرب الصينية – الهندية.

نقطة اللاعودة في العلاقات الصينية – الروسية

ينبغي الإشارة إلى أن الصرع الصيني – السوفييتي قد تصاعدت حدته في عامى ١٩٦٢ – ١٩٦٣ حتى وصل إلى حدٍ حرج، يمكن أن يقال عنه بشيء كثير من الدقة أنه قد بلغ نقطة اللا عودة. وكان السبب الأكبر والأساسي لذلك متمثلاً في النزاع بين بكين، وموسكو حول التجارب النووية.

ولقد جاءت المبادرة في هذا السبيل من الجانب الأمريكي الذي قدم اقتراحا للحكومة السوفييتية ردت عليه بأنها راغبة في عقد اتفاقيات من شأنها الحد من انتشار الأسلحة الذرية. وقامت الحكومة الروسية بإبلاغ ذلك إلى الصينيين. فما كان من بكين إلا أن سارعت بإرسال سلسلة من المذكرات إلى موسكو تحذرها فيها من أن الصين سوف لا تتسامح في مثل هذه الخطوات الرامية لحرمانها من مشروعاتها النووية. لذلك، فإن الإتحاد السوفييتي حينما أقدم – بالرغم من هذه التحذيرات – على توقيع معاهدة الحد من التجارب النووية (Ban Tneaty Limited Test) من جانب كلٍ من الولايات المتحدة، وبريطانيا في يوليو ١٩٦٣ فإن الصين بادرت بعنفٍ بالغ بشجبها على اعتبار أنها نوع من " الغش "، وكالت الاتهامات لواشنطن، وموسكو على حدٍ سواء. وقالت إنهما تحاولان " تكريس احتكارهما النووي ".

على أنه أتت بعد ذلك فترة من الهدوء في التوتر بين البلدين في خريف عام ١٩٦٣، حينما تمت إزاحة خروشوف عن السلطة، وفي نفس الوقت تقريبًا – وإن كان بمحض الصدفة – قيام الصين بتفجير قنبلتها النووية الأولى مما كان له انعكاسات على العالم بأسره. ثم ما لبثت حرب فيتنام أن أسهمت في توتر العلاقات من جديد. ففى عام ١٩٦٤/ ١٩٦٥ كثفت الولايات المتحدة من تواجدها في فيتنام مما أصاب كلاً من موسكو وبكين بالانزعاج الشديد.

لقد كان موقف السوفييت من حرب فيتنام هو دعوتهم للصينيين من أجل توحيد الجهود لمساعدة فيتنام الشمالية ، لكن الصين أصرت على رفض أى تعاون مع السوفييت في هذا السبيل ، وبدلاً من ذلك كانت تعمل على إعاقة الجهود السوفييتية لمساعدة فيتنام الشمالية في الوقت الذي مضت هى في مساعدة الفيتناميين الشماليين ضد العدوان الأمريكي. ثم بعد ذلك نجد الصين خلال عام ١٩٦٦ ، وقد انغمست إلى أخمص قدميها في صراعات سياسية داخلية سببتها " الثورة الثقافية ". ولقد انعكس أثر هذه الاضطرابات الداخلية على السياسة الخارجية الصينية حيث اتخذ قادة بكين موقفًا ثوريًا متصلبًا ، واتجهوا نحو الداخل لإحكام نوع من العزلة ، الأمر الذي جعل علاقات الصين مع غالبية الدول – بما فيهم الإتحاد السوفييتي – تصل إلى أدنى مستوى لها خلال الفترة من ١٩٦٧ – ١٩٦٨ . وقد تجلى ذلك في قيام الحرس الأحمر الصيني بمحاصرة السفارة السوفييتية في بكين .

المواجهة بين البلدين:

لقد تمت الإشارة إلى أن احتلال السوفييت عام ١٩٦٨ لتشيكوسلوفاكيا قد أصاب الصين بنوع من الانزعاج الشديد ، حيث كانت هذه الواقعة تشكل في نظرهم سابقة خطيرة باحتمالات التدخل السوفييتي في شؤون الصين . ثم بلغت مخاطر الصدام بين البلدين أشدها سخونة في عام ١٩٦٩ حين حدثت مصادمات عسكرية خطيرة مرتين : إحداهما في ٢ مارس ، والثانية في ١٥ من نفس الشهر في منطقة شنباو (Chenpao)، وكان يمكن لهذه الأحداث أن تتسبب في نشوب حرب بينهما – غير أن الطرفين تداركا الوضع قبل أن يصل إلى حافة الهاوية.

ومنذ عام ١٩٦٩ ، تجمد الوضع بين البلدين نتيجة السعى نحو حل الأزمة بين الطرفين حول الحدود ، وهدأت حدة الأزمة ، ثم بحلول عام ١٩٧٤، بدأت حكومتا البلدين بإصدار تلميحات يُفهم من ثناياها أن العلاقات بينهما قد تطورت إلى أحسن . وفي شهر نوفمبر ١٩٧٤ ، فاجأت بكين العالم أجمع بأن

بعثت برسالة إلى موسكو تقترح فيها إبرام ميثاق عدم اعتداء – لكن هذا العرض لم يسفر عن شيء .

ولقد حاول السوفييت من ناحيتهم على مدار عدة سنوات أن يصدروا عدة تصريحات توحى بأنهم على استعداد للتصالح دون أن يغيروا من موقفهم الأساسي. وفي أبريل ١٩٧٦ نشرت صحيفة " البرافدا" مقالاً هامًا يوحى بالرغبة في التصالح طالما أن الزعيم السوفييتي "ماوتسى – تونج" قد توارى من على المسرح. وفي شهر أكتوبر نشرت الصحيفة ذاتها مقالاً يتضمن تهديدًا مقنعًا للصين ، بأن ذكرت بأنه ليس هناك من سبب موضوعي للعداء الصيني – السوفييتي . أما التهديد ، فكان بالقول بأنه ما لم يعثر الزعماء الصينيون الجدد على " لغة مشتركة " للتفاهم مع موسكو خلال الشهر القادم ،" فإنه سوف لا يكون من المستطاع منع صدور قرار لا رجعة فيه من جانب الزعماء السوفييت – الأمر الذي أثار وزير الخارجية الأمريكي "هنري كيسنجر"، ودفعه إلى التصريح بقوله بأن الولايات المتحدة تعتبر أى تهديد للصين من جانب آية دولة أخرى يُعد أمرًا خطيرًا .[1]

أثر الفجوة الحضارية على العلاقات الصينية – السوفييتية:

في النهاية ، قد يحسن الإشارة في هذا المقام إلى نقطة هامة لعبت دورًا كبيرًا في توسيع الشقة بين البلدين ، وهى المخاوف التاريخية غائرة الجذور التي كان من نتيجتها هذا الصراع المتصل بين الصين ، والإتحاد السوفييتي مما جعل الوعى يتزايد من كلا الجانبين حول الفجوة الحضارية أو الثقافية التي تفصل بينهما .

فلقد كان الظن لدى قادة كل من البلدين عقب انتصار الثورة الشيوعية الصينية عام ١٩٤٩ أنه من المأمول أن يحدث امتزاج حميم بين المجتمعين السوفييتي والصيني ، انطلاقًا من أن القيم السياسية في ظل الماركسية اللينينية سوف تتجاوز الفجوة الحضارية التاريخية بين الشعبين . ولم يكن غريبًا إذن أن

(1) Barnet. A.D. China and the Major Powers in East Asia. P. 51

يكون الشعار الذي رفعته بكين عام ١٩٥٢ هو " أن الإتحاد السوفييتي اليوم هو صين الغد". ولكن يلاحظ من ناحية أخرى أن هذا الشعار كان من جانب واحد. فلم نسمع عن شعارات سوفيتية مقابله تدعو إلى أن ينهل السوفييت شيئًا من القيم الصينية . لذلك فإن هذه العلاقة لم تدم طويلاً فبمجرد أن ظهرت المصالح المتعارضة أصبح واضحًا أن الفجوة الحضارية لم يكن من المستطاع تجاوزها .

وفي الآونة الراهنة أصبح الصفوة من المثقفين من الصينيين يشددون على القول بأن بلادهم تتمتع بوضوح فريد ، وأنه من المرغوب فيه الحفاظ على قيمتها المتميزة . فمنذ اتصالاتهم الأولى بالغرب ، خلال القرن التاسع عشر ، كانت المشكلة الرئيسية بالنسبة للصينيين هى كيفية المحافظة على القيم الأساسية في وجه المؤثرات " التخريبية " الوافدة من الخارج في نفس الوقت الذي آمنوا فيه بضرورة استيراد المعرفة التكنولوجية ، والعلمية اللازمة لتقوية دعائم الصين ، وتحديث نظمها ، وإن أتى ذلك متأخرًا ، إذا قورن بالنهضة الحديثة اليابانية في عصر " الميجي ".

كذلك ، سرعان ما أصبح هناك ميل للنظر إلى الإتحاد السوفييتي كدولة بيضاء غربية استعمارية تحمل قيمًا غريبة على الصين من ناحية، تسببت لها في نوع من الاضطرابات من ناحية أخرى .

.ولعل من المفيد هنا أن نذكر أنه حتى قبل عام ١٩٤٩ ، وعلى الرغم من الجوار من الناحية الجغرافية ، فلم تحتفظ الصين بوشائج حضارية مع الروس بقدر ما كانت تحتفظ بعلاقات ثقافية أو حضارية مع الدول البحرية الاستعمارية الأخرى.

الفصـــل الرابع

الصين المعاصرة

الفصل الرابع

الصين المعاصرة

مقومات نهوضها ووضعها على المسرح الدولي

أولاً : مقومات الصعود الصيني :

(١) إرهاصات في تغير القيادة العالمية

منذ عام ١٩٤٥ ، كانت الولايات المتحدة هى القوة العالمية المسيطرة ، وحتى في ظل الحرب الباردة ، كان الاقتصاد الأمريكي هو الأكثر تقدمًا ، وأكثر من ضِعف قوة الاقتصاد السوفييتي ، كما كانت قوته العسكرية ، وتقدمه التكنولوجي أكثر تفوقًا ، كذلك كانت الولايات المتحدة هى المحرك الأكبر في سلسلة من المؤسسات الدولية ، مثل الأمم المتحدة ، وصندوق النقد الدولي ، وحلف الناتو.

وكان انهيار الإتحاد السوفييتي عام ١٩٩١ قد زاد من تعاظم مركز الولايات المتحدة حيث تم حذف مناوئها الأول مما جعل أسواق كتلة الدول التابعة للإتحاد السوفييتي تتجه صوب الولايات المتحدة طلبًا للمعونات والدعم . ومن ناحية أُخرى صار الدولار هو العُملةِ المفضلة دوليًا. وسيطرت الولايات المتحدة على كافة المؤسسات العالمية .

غير أننا نشاهد الآن تغيرًا تاريخيًا ، رغم كونه لا يزال في مهده سوف يغير شكل العالم. فالعالم المتطور – والذي ظل لأكثر من قرن من الزمان الذي كان يسمى بالغرب ، وبالتحديد الولايات المتحدة ، وكندا، وأوروبا الغربية ، واستراليا ، ونيوزلندا ، بالإضافة إلى اليابان يجري تجاوزها بشكل سريع في المجال الاقتصادي من جانب دول في سبيل النمو. ففي ٢٠٠١ كانت الدول المتطورة يزيد إجمالي ناتجها القومي على نصف إجمالي الناتج القومي العالمي مقارنًا ذلك ،

بنحو ٦٠ بالمائة في ١٩٧٣ .

وقد ينقضي مرور وقت طويل بالطبع قبل أن تتمكن الدول النامية من التوصل إلى التفوق الاقتصادي والتكنولوجي المناظر للدول المتطورة، ولكن نظرًا لأنها في مجملها تشكل الأغلبية الساحقة لسكان العالم من ناحية ، وأن معدل نموها الاقتصادي صار أكثر من معدل النمو في العالم المتطور، فإن صعودها قد أسفر عن تحول كبير في ميزان القوة الاقتصادية العالمية . وهناك بعض الدلائل المعاصرة على تحول هذا التوازن .

فبعد الانحسار عبر ما يزيد على عقدين من الزمن فإن أسعار السلع بدأ في الارتفاع عند نهاية القرن مدفوعًا ذلك بنمو اقتصادي ضخم في العالم النامي، وفوق كل ذلك حظيت الصين بالقدر الأوفى .. وحتى نهاية الانكماش العالمي قد قلب هذا الاتجاه على المدى القصير. على كلٍ، فإن الأداء الاقتصادي المبهر للاقتصاديات في شرق آسيا، وفر لديهم فوائض تجارية هائلة بما نتج عنه أيضًا من تضخم في احتياطياتهم النقدية الأجنبية. وتم استثمار نسبة من تلك الفوائض النقدية ، وخاصة بمعرفة الصين وسنغافورة في صناديق تسيطر عليها الدولة الغرض منه البحث عن استثمارات مربحة في دول أخرى بما فيها الغرب .

كذلك فإن بعض الدول التي تنتج المواد الخام مثل الدول الغنية بالنفط في الشرق الأوسط قد استثمرت هى الأخرى جانبًا من دخولها في هذه الصناديق . بالإضافة إلى انهيار أكبر المؤسسات المالية في وول ستريت في سبتمبر ٢٠٠٨ قد نهض دليلًا على أن القوة الاقتصادية بدأت في التحول عن الغرب ، وقد سعت تلك العمالقة المنهارة إلى طلب العون من الصناديق الثرية المستقلة من ناحية والحكومة الأمريكية من ناحية أخرى لإنقاذ عمالقة الرهن العقاري ، ومن أجل طمأنة الدول ، مثل الصين التي كانت قد استثمرت فيها مبالغ هائلة من المال، لأنه إذا أقدمت هذه الدول على سحبها فسوف يكون ذلك مدعاة للتعجيل بانهيار قيمة الدولار .

وقد أظهرت هذه الأزمة المالية مدى التفاوت بين غنى دول شرق آسيا

منتجة عقودًا من الفوائض ، وبين الولايات المتحدة المفتقرة للنقد نتيجة سنين عديدة من العجز .

وطبقًا لعرض قدمته "جولد مان ساش " (Goldman Sachs) كما تبين من الشكل رقم (٢) أدناه مايلي :-

- أن الثلاثة اقتصاديات الأكبر عالميًا بحلول ٢٠٥٠ سوف تكون اقتصاديات الصين في المقدمة تليها أمريكا ثم الهند ثم البرازيل ، والمكسيك، ثم إندونيسيا . وسوف تكون هناك دولتان أوربيتان فقط ضمن العشرة اقتصاديات الأكبر هما المملكة المتحدة ، وألمانيا في الترتيب التاسع والعاشر على التوالي .

- وسوف يكون من بين السبعة الكبار (G7) أربعة فقط يظهرون داخل نطاق العشرة اقتصاديات الأكبر حجمًا .

- وفي التنبؤ لترتيب مشابه ، فإن مؤسسة " برايس ووتر هاوس كوبرز (Pricehiouse Coopers) تتنبأ بأن الاقتصاد البرازيلي يمكن أن يكون أكبر حجمًا من نظيرة الياباني، وأن اقتصاديات كل من روسيا والمكسيك وإندونيسيا سوف يكون كل منها أكبر حجمًا من الاقتصاد الألماني، والفرنسي والمملكة المتحدة بحلول عام ٢٠٥٠ .

- فإذا كانت هذه التوقعات، أو شيء مشابه لها قد ظهرت على الواقع العملي، إذن فإنه في أثناء العقود الأربعة القادمة سوف يشبه العالم مكانًا آخر شديد الاختلاف في واقع الأمر.

والجدير بالذكر أن مثل هذا السيناريو لم يكن بدوره في خلد أحد في عام ٢٠٠١ فعقب ١١ سبتمبر لم تكن الولايات المتحدة تنظر إلى نفسها فقط بأنها القوة الكبرى الوحيدة ، لكنها حاولت أيضًا أن تقيم لها دورًا عالميًا جديدًا يعكس هذا التفوق. وفي عام ١٩٩٧ أصدر ديك تشيني ، ودونالد رامسفيلد وغيرهم بيان مبادئ يصور الوضع الجديد ، ويمهد السبيل لإدارة بوش كما يلي:

" نظرًا لأن القرن العشرين يشرف على نهايته ، فإن الولايات المتحدة هنا بمثابة أقوى قوة فيه ، ولأنها هى التي قادت الغرب إلى النصر في الحرب الباردة ، فإن أمريكا ترى فرصة ، وتحديًا : فهل لدى الولايات المتحدة الرؤية لأن تبني فوق ما تم إنجازه في العقود الزمنية الماضية، وهل لدى الولايات المتحدة العزم على أن تشكل قرنًا جديدًا متسقًا مع المبادئ والمصالح الأمريكية ؟".

وفي ٢٠٠٤ كتب العضو المحافظ الجديد المشهور " تشارلز كروتهامر (Chales Krauthammer) : " في ٢٦ ديسمبر يقول١٩٩١ لقد زال الإتحاد السوفييتي وولِد واقعٌ جديد ، شيئ جديد حقًا –عالم أحادي القطب تسيطر عليه قوة عظمى منفردة لا تصد من جانب أى منافس، ولها القدرة الحاسمة للوصول إلى كل ركن من أركان العالم. إن هذا لتطور مذهل في التاريخ، لم يره أحد منذ سقوط روما.(١)

لكن هذه النبوءة لم تتحقق تمامًا طبقًا لإعادة تشكل العالم على نحو ما سلف ذكره ، وإذا كانت الصين قد تبوأت هذه المكانة، فما هى إذن مقومات هذا الصعود الصيني؛.

(٢) مقومات الحداثة الصينية:

عند وفاة "ماو تسى تونج" سنة ١٩٧٦، لم يكن هناك من يعتقد أو يتنبأ بأن الصين على أعتاب فترة من النمو الاقتصادي سوف تغير تمامًا وجه وثروات الصين ، حيث حدث في عام ١٩٨٩ انهيار الشيوعية في أوروبا ، وكانت الصين قد تمزقت إربًا بفعل ما سمى بالثورة الثقافية في عهد " ماو" حيث كان الفريق الذي سيطر على الحزب خلال الخمسينيات وأوائل الستينيات طبقًا لتعاليم "ماو تسى تونج" ، بما تضمن تعبئة عشرات الملايين إعلانية من الشبان في الحرس الأحمر"، وبوفاة "ماو تسى تونج" ، فإن ما سمى بالثورة الثقافية قد خبت وتنكر لها الجميع . على أن الفراغ الذي نشأ عن وفاة "ماو تسى تونج" سرعان ما شغله

(1) M. Jacques, When china Rules the warld. The End of the western world and the Burth of New Global Order, P.P.1-4 .

واحد من الزعماء القدامى الذين تمت إدانتهم أثناء تلك الثورة الثقافية وتولى " دنج –تشياو نـنج"(Deng Xiaping) سـدة القيادة، دون الشعور العام بمبادئ ماو تسى تونج التي اتسمت بشيء من التجاوزات التي اتسم بها عهد الزعيم " ماو".

على أن البرنامج الإصلاحي الذي طرحه " دنج" لم يتضمن فقط ثورة اقتصادية ، وإنما ثورة سياسية تضمنت تغييرًا كاملاً في طريقة العمل، وفي الأفراد القائمين على هذا التغيير أكثر شبهًا بالنموذج الذي انتهجته النمور الآسيوية في شرق آسيا . وكانت أكبر العناصر العملية في هذه التحولات تجنب المركزية الشديدة للدولة التي كانت شرطًا لازمًا لإصلاح النظام الاقتصادي ، والنمو الاقتصادي على مستوى مختلف للحكم المحلي. وصار هذا النمو كجزء من إجمالي الناتج القومي ، وأصبحت نتيجة لذلك ميزانية الحكومة المركزية جزءًا مكملاً للناتج القومي الإجمالي، كما تضاءل نصيب الحكومة المركزية بالنسبة لهذا الناتج الإجمالي بشكل كبير.(١)

ومن بداية هذا التحول كان معدل النمو الاقتصادي قد تحول من ٤- ٥ بالمائة في عهد ماوتسى –تونج إلى معدل نمو بلغ ٩٫٥ بالمائة. في الفترة من ١٩٧٨-١٩٩٢. لكن قوة الدفع الإصلاحي قد أصابه الوهن في عام ١٩٨٩ في فترة لا تقل عن عقد زمنى من الإندفاعة بسبب المظاهرات الكبيرة للطلاب في ميدان تيان أن مين(Tianan men) والتى قام الجيش الصيني بقمعها. وبانقسام قيادة الحزب بدا من المحتمل أن عملية الإصلاح سوف تتوقف ربما إلى مالا نهاية. ولكن كانت هناك موجه شديدة من الاستثمار الأجنبي أتت من الصينيين في الشتات (Diaspora) المقيمين في هونج كونج ، وتايوان (والذين ظلوا حتى ذلك اليوم أكبر الموارد الوحيدة للاستثمار الأجنبي) حين كانت الصادرات في الأساس إلى الولايات المتحدة التي زادت بمعدل سريع .

وبدأت موجة مجمومة تسيطر على البلاد، لقيت تشجيعًا من " دنج" للاتجاه

(1) M. Jacques Ibid. P.154

إلى اقتصاد السوق وعمل على تغذية هذه الموجة معدل نمو سريع جدًا .

ومنذ بداية هذا التحول ، كانت اليابان ومعها النمور الآسيوية مصدر التأثير المهم على الإصلاح الاقتصادي في الصين . فهذه الدول شاركت "دنج" نظرة براجماتية وليست ديكتاتورية عن كيفية قيادة السياسة الاقتصادية . ولقد تم الاعتراف على أية حالٍ على أنه ولا واحدة منها يمكنها في حد ذاتها تقديم نموذج مناسب . فكافة الظروف ، خاصة تلك التي تنساب من حجم الصين الهائل كانت مختلفة وفي عصر العولمة التي بدأت حوالى عام ١٩٨٠، لم يكن ممكنًا بعد للصين على خلاف ماتم لليابان والنمور الآسيوية من قبل تنمية صناعاتها ، وشركاتها خلف جدار من التعريفات حتى يكونوا على استعداد للتنافس في السوق العالمية.

وكان هناك عامل إضافي في هذا المجال، وهو أن الصين بصفتها دولة شيوعية كان العالم لا يزال ينظر إليها، وخاصة الولايات المتحدة بعين الشك ، ونتيجة لذلك فقد كان قبولها عضوًا في منظمة التجارة الدولية قد أستغرق خمسة عشر عامًا ، وكانت محلاً لأكبر قدر من الاتفاقات المفصلة ، تم استيفاؤها مع أية دولة أخرى . ولم يكن ذلك متطلبًا مثلاً من دولة كالهند قبل سنوات قليلة من ذلك ... وكان على الصين لعدة أسباب مختلفة أن تنتزع طريقها.[1]

وعلى الرغم من أن الصين لم تكن تتمتع بما تتمتع به كل من كوريا الجنوبية وتايوان ، من علاقة حميمة مع الولايات المتحدة ، فإنها كانت تدرك الأهمية الكبيرة لكسب الدعم الأمريكي والتعاون مع الولايات المتحدة وهى في طريقها للنمو الاقتصادي طالما أن تعاطيها للإصلاح الاقتصادي كان متسمًا في تلك الفترة بالبراجماتية .

ويعتبر اتفاق " ماو—نيكسون" في ١٩٧٢ علامة على التغيير الذي حدث بالنسبة لعلاقة البلدين . وبإقامة التبادل الدبلوماسي بينهما في ١٩٧٩ فإن تسوية المطالب الاقتصادية، والإفراج عن الأرصدة المجمدة ، ومنح الصين معاملة

(1) M. Jacques Ibid. P.156

الدولة الأولى بالرعاية . هذه الخطوات عملت على إيجاد الظروف التي مهدت للصين الانضمام إلى صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي في ١٩٨٦ كما حصلت الصين على وضع المراقب في منظمة الجات في عام ١٩٨٢ .

وصارت أهمية الولايات المتحدة بالنسبة للصين واضحة بشكل متزايد أثناء الثمانينيات ، فقد صارت أهم وجهة للصادرات الصينية، فضلاً عن الأعداد المتزايدة من الطلاب الصينيين الذاهبين للدراسة هناك، بما في ذلك أبناء وبنات صفوة الحزب في حين صار النموذج الأمريكي للرأسمالية يجد له تأثيرًا متزايدًا على الصين ، كما زادت هذه المكانة للنموذج الأمريكي . وكان انهيار الإتحاد السوفيتي أيضًا سبيلاً لزيادة هذا النفوذ الأمريكي . غير أن هذه المكانة الأمريكية قد زاد توطدها التطور الاقتصادي الواضح مشفوعًا بوادي السيليكون (Silicon Vally) ، والإنترنت . ومن العجيب أنه قد صار هناك انحسار في هذا الاتجاه وارتفاع في المشاعر القومية موجهة ضد الولايات المتحدة ، وقد تجلى ذلك في كتاب بعنوان " الصين التي يمكنها أن تقول لا "، والمظاهرات ضد قيام الولايات المتحدة بقصف السفارة الصينية في بلجراد. لكن التأثير الأمريكي على عملية التحديث الصيني مع ذلك بقى كبيرًا . غير أن تخفيض حواجز التعريفة الجمركية ، وانتهاج سياسة التجارة المفتوحة . كذلك كان مقرونًا بعهد خليفة " دنج تشياو بنج" وتلميذه " جيانج زيمين" (Jiang Zemin).[١]

(٣) عناصر القوة للصين المعاصرة

إن النمو السريع للاقتصاد الصيني منذ ١٩٨٧ كان حضيلة نسبة عالية غير عادية من الاستثمارات في المنطقة بلغت ٤٠٪ من إجمالي الناتج القومي لعدد كبير من السنوات، وقد تبلغ هذه النسبة الآن ٤٥٪. وهذه النسبة شديدة الارتفاع للاستثمارات الداخلية قد صارت حقيقة واقعه بسبب نسبة عالية من الإدخارات بلغت نسبتها ٤٠٪ من إجمالي الناتج القومي، ومكنت هي ونسبة عالية من

---

(١) M. Jacques Ibid. P.156

الاستثمار الداخلي في ذات الوقت من توفير المبالغ التي حققت للصين انطلاقتها المعاصرة. وفي عام ٢٠٠١، كان متوسط ما توفره الأسر الصينية ٢٥٫٣ بالمائة من دخلها المتاح، مقارنًا ذلك بنسبة ٦٫٤ بالمائة في الولايات في عام ٢٠٠٢. وهذا الادخار الهائل الذي قامت به الأسر الصينية لعب دورًا هامًا في تمويل الصعود الصيني.(١)

وفي مجال الطاقات والقدرات التي أصبحت في إمكانات الصين، يجدر الذكر ونحن إزاء نطاق وسرعة التحول الاقتصادي في الصين، فإن ما تم في الصين هو بكل المقاييس تحول اقتصادي غير عادي في التاريخ الاقتصادي البشري، إذا ما استثنينا التحديث البريطاني باعتباره التحول العالمي الأول. فالإستراتيجية الاقتصادية الحكومية في الصين كانت فائقة النجاح، أسفرت عن نمو اقتصادي منقطع النظير، وارتفاع في الدخل بالنسبة للفرد الصيني من ٣٣٩ دولار في ١٩٩٠ إلى ما يزيد على ١٠٠٠ دولار في عام ٢٠٠٣ بقصد مضاعفته خلال عشر سنوات.

وقد أصبحت الصين تنتج ثلثى إنتاج العالم من أجهزة التصوير (Photo Copiers) وأفران الميكروويف، ونصف إنتاجه من أجهزة (DVD) ومن الكاميرات الديجيتال، ومن الأنسجة، وثلث إنتاج العالم من كمبيوتر المكاتب، وربع إنتاجه من الموبايل، وأجهزة التليفزيون.

(٤) ضمان الاستمرار في النمو الاقتصادي الصيني

أن يستمر التمسك بمعدل نمو يبلغ نحو ١٠٪ أمر يتعلق في الأساس بالسياسة الإستراتيجية للدولة. فالصين مثلا بحاجة إلى نحو ٨ مليون وظيفة سنويًا للتوسع في سكانها في الحضر، بالإضافة إلى ١٥ مليون أخرى أو نحو ذلك بالنسبة لمن يهجرون الريف الصيني بحثًا عن وظائف كل سنة.

ولكن بعد ربع قرن، هل يدوم هذا المعدل من النمو؟ وماذا يكون تأثير الانكماش العالمي على الصين؟ ويرى "يو- يونج –دينج" أحد عمالقة الاقتصاد

(1) M. Jacques Ibid. P.160

في لقاء معه في ٢٠٠٦ بأن هناك ٣٠٪ فرصة متاحة قد تكون لها انعكاسات سلبية. فالاقتصاد الصيني مُعرض بدرجة كبيرة للتجارة الدولية لذلك فهو مُعرض بشكل حساس للتطورات الخارجية . فالانكماش العالمي سوف يكون بمثابة اختبار للمدى الذي يتمكن فيه الاقتصاد الصيني من الحفاظ على معدل نموه الاقتصادي السريع في ذات الوقت الذي لم تتوافر له نفس الفرص للاعتماد على أسواق التصدير الغربية . فالاتحاد الأوروبي قبل هذه الأزمة العالمية الحالية كان يمثل نحو ٢٢٪ من الصادرات الصينية كما كانت سوق الصادرات الأمريكية تمثل نسبة ١٨٪ .

وفي سياق هذا الانكماش المتجمع ، فإن معدل النمو الاقتصادي ينتظر أن يكون ٩٪ في ٢٠٠٨ ومقدر له أن ينخفض إلى ٦-٨٪ في ٢٠٠٩ عما كان عليه من ١٢٪ في ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧ ، وفي متوسط عام كان يزيد على ١٠٪ منذ ٢٠٠٢. وتحاول الحكومة من ثم البحث عن تعويض عن ذلك الانخفاض في الطلب الذي حدث من جانب أسواق الغرب بتشجيع الاستهلاك المحلي .

لذلك فإن نمو الصين يعتبر معتمدًا على الموارد بشكل مكثف وتلك أحد أعمق مشكلات الصين الاقتصادية ، فالأمر يتطلب توافر الأراضي والغابات والمياه والنفط. فلدى الصين على سبيل المثال ٨٪ فقط من الأراضي المزروعة في نفس الوقت الذي يُطلب منها أن تغطى مصالح ٢٢٪ من سكان العالم، وهم سكان الصين . ومن ناحية أخرى فإنه منذ ١٩٩٣ أصبحت الصين مستوردة للنفط لأول مرة ، وهى الآن تعتمد على وارداتها منه لتغطية نصف احتياجاتها النفطية .

ونتيجة لذلك ، تصبح الصين معتمدة على باقي العالم بالنسبة للكميات الهائلة من المواد الخام التي تحتاجها لنموها الاقتصادي . فهى الآن أكبر مستورد للنحاس ، وثاني أكبر مشترٍ للحديد الخام ، وثالث أكبر مشترٍ للألمونيوم ، كما أنها تستهلك ثلث إمدادات العالم من الفحم والحديد والقطن ، ونحو نصف الإمدادات العالمية من الأسمنت، وأصبحت الصين ثانية أكبر دول العالم في

استهلاك الطاقة بعد الولايات المتحدة. وفي عام ٢٠٠٥ استخدمت الصين من الفحم بأكثر ما استهلكت الولايات المتحدة، والهند وروسيا مجتمعين معًا. وفي ٢٠٠٤ كانت تمثل نحو ٤٠٪ من الطلب العالمي على النفط. فإذا قُدر للاقتصاد الصيني أن يستمر في النمو بنسبة ٨٪ في السنة في المستقبل، فإن معدل دخل الفرد سوف يصل إلى نظيره الحالي في الولايات المتحدة عام ٢٠٣١، وفي هذه النقطة، فإن الصين سوف تستهلك ما يوازي ثلثي ما يستهلكه العالم من الحبوب كما أن طلبها على الورق سوف يكون ضعف الإنتاج العالمي الحالي منه.

كذلك إذا قُدر للصين أن تبلغ نفس المستوى بالنسبة للفرد لحيازة السيارة كما هو حال الولايات المتحدة الآن فيتطلب الأمر أن يكون لدى الصين ١ر١ بليون سيارة مقارنًا ذلك بما يمتلكه العالم حاليًا ٨٠٠ مليون، وسوف يقتضيها استخدام ٩٩ مليون برميل من النفط في اليوم مقارنًا ذلك بما ينتجه العالم هو ٨٤ مليون برميل في اليوم في عام ٢٠٠٦، وبالطبع فإن هذا المستوى من الطلب سوف لا يمكن تحققه بالنسبة للمصادر العالمية المتاحة.(١)

إن هذا الوضع يحدونا إلى التطرق إلى الموقف أو المقومات التكنولوجية الصينية.

(٥) أهمية المقومات التكنولوجية الصينية

يلاحظ الآن أن الميزة النسبية للصين تكمن في الصناعة التي تطلق عليها الصناعة غير الرفيعة (Low-end Manyfacturuing) التي يمكنها من استغلال الإمدادات من العمل غير الماهر، ومن ثم الإنتاج بأسعار منخفضة. كما يعرفها السوق العالمية. وعلى الأمد الطويل سوف تواجه مشكلتين: أولهما: في سياق التكلفة الكلية في إغراق السوق بها أى تكون النسبة الممثلة للصنع ضئيلة جدًا—نحو ١٥٪ من الثمن الإجمالي للسلعة—حيث تكون جملة التكلفة قد تم استيعابها من قبيل التصميم (Design)، والتسويق. وثانيا: تكون غالبية الصادرات الصينية قد تم صنعها من قبل الشركات المتعددة الجنسية الغربية أو

---

(1) M. Jacques Ibid. PP.168-169

اليابان ، وحيث يكون الصُناع في هذه الحالة في نطاق دور المتعاقدين الفرعـيين . وبمعنـى آخـر ، أن يكـون الـدور الـصيني أساسًـا دور الـصانع الأخـير كمتعاقـد فرعي بالنسبة للعمليات متعـددة الأشـكال عالميًـا للـشركات المتعـددة الجنسيات التي يكون مقارها في الدول المتقدمـة .

وهذا يعني أن الصين على أية حال ينهض دليلاً واضحًا على أنها تصعد بثبات السلم التكنولوجي ، وكانت إحدى السبل التي استعانت بها الصين للوصول إلى تكنولوجيات جديدة مزيجًا من المحاكاة، والشراء وإغواء شركاء أجانب للدخول في مشروعات مشتركة لنقل التكنولوجيا لقاء إعطائها فُرصا أوسع للوصـول إلى السوق الصينية. وكان الإغراء الأخير قد أثبت أنه وسيلة مساومة قوية خصوصًا مع الشركات المتعددة الجنسيات. ففى وقت قليل، كانت الصين قـد تفوقـت عـلى كثير من دول جنوب آسيا في مجالات مهمـة مـن التكنولوجيـا ، وصـارت قـدرتها على مزاولة مساومات صعبة مع الشركات متعددة الجنسيات عاملاً مهمًا في هـذا المجال . ففي حين لم تتمكن شركة بروتون (Proton) الماليزيـة للـسيارات مـن إغـراء أى مـن شركائهـا الأجانـب خـصوصًا ميتسوبيـشى –لنقـل التكنولوجيـا المهمة، فإن شركات السيارات الصينية قد استطاعت بوسيلة أو أخرى أن تكـون أكثر نجاحًا في ذلك.

وهناك طريق آخر استطاعت الصين عن طريقـه شـق طريقهـا إلى الـصعود في السلم التكنولوجي : ففي حـين تتحـرك الـشركات متعـددة الجنسيات لتحريـك عملياتها في التصنيع إلى الصين يكون هناك ميل قوي لأعمال أخـرى تعقـب ذلـك للاستفادة من الاقتصاديات ذات النطاق الواسع لأسباب مناسبة ، ولأن العامـل الصيني ذي المهارة العالية متوفر ورخيـص التكلفـة .

فـإذا تطرقنـا إلى صـناعة النـسيج في إيطاليـا مـثلاً ، فقـد هـاجرت إلى الـصين وبدأت بعملية الصناعة ، ثم بقيمة مضافة نتيجة عمليات أخرى مثل التصميمات والمايكروسوفت ، فكذلك الحال حيث أقامت كل من موتورولا ، ونوكيـا مراكز للبحـث والتطـوير في بكـين . ولـسوف يـصبح الـصينيون المهنيـون ذوى أهميـة

متزايدة في مجال البحث والتطوير مع تلك الشركات المتعددة الجنسيات .

وعلى المدى الطويل على أية حالٍ ، سوف يكمن مفتاح القدرات التكنولوجية في قدرة الصين على تطوير قدراتها الذاتية في البحث والتطوير.

ومن بين أهم قوى الصين، حقيقة أنها تمتلك عددًا كبيرًا من المتعلمين تعليمًا عاليًا من المهنيين، وكذلك العباقرة . فالصين الآن تُخرج ٩٠٠ر٠٠٠ عالم ، ومهندس وكفاءة إدارية في كل عام. وفضلاً عن ذلك هناك أعداد كبيرة من الطلاب الصينيين يتلقون العلم في أعلى الجامعات الأمريكية . ولو أن نسبة عالية منهم يختارون البقاء هناك والعمل في تلك الجامعات بعد ذلك ، فالصينيون على سبيل المثال تبلغ نسبتهم نحو ثلث كافة المحترفين(Professionals)، والفنيين في وادى السيليكون (Silicon Valley) .

ولقد كانت الحكومة الصينية تعمل على تكثيف جهودها نحو إغراء الصينيين المقيمين في الخارج للعودة إلى بلادهم حتى أصبح ٨١٪ من أعضاء الأكاديمية الصينية للعلوم وكذلك ٥٤٪ من أكاديمية المهندسين من الدارسين العائدين إلى بلادهم . ويقدر كذلك أن نحو ٢٠٪ من الفنيين الذين كانوا يعملون في الخارج قد عادوا الآن إلى الصين.[1]

إن الذي حدث على هذا النحو للصين هو تمامًا ما حدث للنمور الآسيوية وأبرزها ما حدث لليابان ، وكوريا الجنوبية ، وتايوان ، فكلها بدأت من أدنى المراحل لكنها الآن تمتلك قدرات تكنولوجية مبهرة ، حيث أصبحت كل من اليابان ، وكوريا الجنوبية ، تسبق معظم الدول الأوروبية.

وإذا لم تتمكن الصين من إنتاج مجموعة من الشركات العالمية الكبرى ، فستكون على طرف نقيض مع اليابان ، وكوريا الجنوبية ، وتايوان . ففي كل منها كانت الظروف التي تواجهها الصين أكثر صعوبة ومختلفة، فإنها منهمكة الآن في اختراع طريقها الذاتي للتطور ، كما فعلت بريطانيا باعتبارها الدولة الرائدة ،

---

(1) M. Jacques Ibid. P. 177

والولايات المتحدة التي اخترعت ما سمى بالإنتاج الكبير (Mass Production) واليابان الرائدة في ابتداع نوع جديد أُطلق عليه " الإنتاج في الوقت المطلوب" (Just-in-time Production).

وعلى الرغم من أن الصين قد أحرزت بالفعل تقدمًا كبيرًا في الصناعات ذات المستوى المنخفض والمتوسط في الصناعات التكنولوجية، مثل السيارات ، فلديها العزم على المدى الأطول على أن تصبح ركنًا كبيرًا من أركان الصناعات المرتفعة تكنولوجيًا مثل الإيروسبيس .

وسوف تبدأ الصين في أقرب فرصة في إنتاج طائرات نفاثة تحمل السكان بين أقاليمها المختلفة ، في حين أن شركة "إيرباس" (Airbus) قد أعلنت عن عزمها على نقل جانب من طاقاتها التصنيعية إلى الصين.

(٦) أثر عامل الحجم في النهوض الصيني المعاصر:

يلعب ترابط الحجم السكاني الهائل مضافًا إليه معدل نمو اقتصادي سريع ومعدل اتساع جغرافي لا نظير له في العالم في ظهور تجربة فريدة سوف يكون لها تأثيرها على العالم .

فنجد أن الولايات المتحدة حينما بدأت انطلاقتها عام ١٨٧٠ كان عدد سكانها ٤٠ مليون نسمة وبحلول ١٩١٣ وصلت إلى ٩٨ مليونًا. ونرى اليابان كان عدد سكانها عند انطلاقتها في عام ١٩٥٠ كان في عام ١٩٧٣ قد بلغ ١٠٩ مليونًا .

وعلى النقيض من ذلك ، فقد كان عدد سكان الصين في عام ١٩٧٨ حين بدأت انطلاق نهضتها المعاصرة قد بلغ ٩٦٣ مليونًا ، وحين أخذت انطلاقتها في التسارع ، أصبح نحو أربعة وعشرين ضعفًا ، لما كانت عليه الولايات المتحدة عام ١٨٧٠ ، وإحدى عشرة مرة ونصف مرة لما كانت عليه اليابان عام ١٩٥٠ ، ومن المقدر حين تبلغ فترة نهضة الصين أقصى اتساع لنهضتها المعاصرة في ٢٠٢٠ أن يكون مجمل عدد سكانها ٤ر١ بليون نسمة .

إذن ما هو أثر هذا الاتساع في عدد السكان بالنسبة للصين ، وبالنسبة للعالم؟ فرغم أن سكان الصين يشكلون حاليًا نحو ٢١٪ من إجمالي سكان العالم ، فإن نسبة القوى العاملة هى ٢٥٪ من مجمل القوى العاملة في العالم .

غير أن أهم أثر يحدثه هذا النهوض الصيني هو أثر النمو الاقتصادي على العالم . فمعدل النمو الاقتصادي السنوى بالنسبة لإجمالي الناتج القومي منذ ١٩٧٨ كان ٤ر٩٪ أى ضعف هذا المعدل بالنسبة للولايات المتحدة والذي كان يبلغ ٩٤ر٣ في الفترة مابين ١٨٧٠ – ١٩١٣ .

وتدل التوقعات على أن تكون مدة انطلاقة كلٍ منهما متشابهة ، فقد كانت هذه المدة بالنسبة للولايات المتحدة ٤٣ سنة ، وللصين ٤٢ سنة . وذلك بسبب أن معدل النمو بالنسبة للصين أكثر تسارعًا ، كما أن سكانها أكثر عددًا بكثير. فحين بدأت الولايات المتحدة انطلاقتها في عام ١٨٧٠ كان إجمالي ناتجها القومي ٨ر٨٪ من مجمل الناتج القومي الإجمالي للعالم ، ثم أرتفع إلى ٩ر١٨ ٪ بحلول عام ١٩١٣ . أما بالنسبة للصين، فعلى النقيض من ذلك ، لقد كانت الصين تمثل ٩ر٤٪ من أجمالي الناتج القومي العالمي عام ١٩٧٨، ولكن من المتوقع أن يرتفع ذلك من ١٨ – ٢٠٪ في ٢٠٢٠. ويلاحظ أنه في كلتا الحالتين، فإن نمو الناتج الإجمالي القومي كانت له آثار كبرى على توسع إجمالي الناتج القومي العالمي. ففي الثمانينيات من القرن الماضي على سبيل المثال حققت الولايات المتحدة أكبر إسهام مفرد بالنسبة لأى بلد من البلدان بلغ ٢١٪ من إجمالي الزيادة التي تحققت للعالم في التسعينيات من القرن الماضي. وعلى كلٍ، فإنه حتى بالنسبة للصين من خلال نطاق مستوى التطور الذي حققته تكون قد تجاوزت الولايات المتحدة التي بقيت عند ٢١٪ في حين أسهمت الصين بنسبة ١ر٢٧٪ من نمو إجمالي الناتج القومي العالمي.

(٧) الانفتاح الصيني على العالم ونتائجه

تمت الإشارة إلى أن هذا الانفتاح أتى بعد رحيل الزعيم الصيني " ماوتسى – تونج" عقب فترة تقدر بنحو ثلاثين عامًا كانت البلاد تتبع سياسة الانغلاق ، كما

كانت دواعي هذا الانفتاح تتمثل في طلب نقل التكنولوجيا المتقدمة ، والحصول على الاستثمارات من الخارج لرفع مستوى الإنتاج الصناعي لأول مرة بهدف التصدير للخارج وفقًا لرؤية الرئيس الصيني الجديد " دنج – تشياو – بنج ". الذي تحدث في خطاب له أمام الأمم المتحدة في عام ١٩٧٨ عن أسباب تخلف الصين والإذلال الذي لاقته بلاده على أيدي الدول الغربية منذ القرن التاسع عشر، وبسبب القرار الذي اتخذته أسرة "منج" منذ ثلاثمائة عام بعدم الاتصال بالعالم الخارجي ، وقد أرجع "دنج" سبب آلام بلاده وتخلفها في ابتعادها عن العالم ، وخاصة العالم الغربي المتقدم – خلافًا لما كان عليه رأى سلفه.

ثم أتى خليفته "جيانج" تزيمين" لقيادة الصين مدركًا لما يعنيه هذا الانفتاح الصيني. ففي عام ١٩٩٤ وفي كلمة له أمام منظمة التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادي (APEC) تحدث تزيمين قائلاً : "إن التكنولوجيا الحديثة قد عملت على تقريب المسافات بين الأمم ، وأن كثيرًا من التحديات التي تواجه الإنسانية باتت تتجاوز الحدود القومية. وأن قضايا كثيرة مثل العلاقات الاقتصادية ، والتبادل التجاري ، والتطوير العلمي والتكنولوجي ، وحماية البيئة، وتنظيم السكان ، والتعامل مع الكوارث، وقضايا المخدرات والجريمة، ومنع الانتشار النووي، ومعالجة الأمراض والأوبئة ... هذه القضايا قد أصبحت ذات طبيعة تتسم بالعالمية (Global) والاعتماد المتبادل ، وهى كلها تستلزم توافر درجة عالية من التعاون والملاحظة بين جميع الدول. (١)

الأسلوب الصيني المعاصر في الانفتاح على العالم

درجت القيادة الصينية حديثًا على إتباع إستراتيجيتين للاستفادة من الجوانب الإيجابية للانفتاح ، كانت أولاهما: الإعلان عن أن الصين لا تهدف إلى الوصول إلى وضع القوة العظمى لممارسة الهيمنة ، وإنما تتطلع إلى عالم يسوده الوئام والعلاقات الطيبة مع مختلف دول العالم وعدم تهديد الأمن الإقليمي أو العالمي .

(١) د. / حنان قنديل ، الصين، وتايوان، والعولمة : رؤية مقارنة." بحث قُدم إلى المؤتمر السنوي السادس: آسيا والعولمة، مركز الدراسات الأسيوية" ص.ص (٥ -٨).

وثانيهما: تأكيد القيادة الصينية على العمل بجد واجتهاد ، وأن تهيئ الصين نفسها للحاق في اتجاه العولمة في مجالات الاقتصاد ، والعلوم والتكنولوجيا ، وأن تتابع سيرها في توسيع نطاق الانفتاح على الخارج بُغية استيعاب كافة إنجازات الحضارة الإنسانية للإسراع في تحقيق هدف التحديث.

نتائج التعامل مع الانفتاح

لقد اقتضت عملية التحديث التي بدأت في أواخر السبعينيات من القرن الماضي أن تنضم الصين إلى عدد من المؤسسات الدولية والإقليمية. وكان التحديث الاقتصادي في واقع الأمر هو الهدف الأعلى ، فقد أنصب اهتمام الصين على الانضمام إلى برامج التنمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، وقد انضمت إليه في عام ١٩٧٨ طلبًا للمعونات الاقتصادية ، وحققت الصين بهذا الانضمام نتائج مبهرة. فقد قام البرنامج بتقديم التمويل والمنح لنحو خمسمائة مشروع للتنمية في الفترة من ١٩٧٨ – ١٩٩٥ ، وكذلك شارك البرنامج في تصميم أربعة خطط خمسية للاقتصاد الصيني ، بالإضافة إلى كون هذا البرنامج يعتبر أكبر المصادر الدولية للمنح التي تقدم للبلاد المتلقية في مجال المساعدات التكنولوجية والفنية . ولذلك يُعد برنامج الصين في هذا النطاق أكبر خطة تنمية تبناها برنامج الأمم المتحدة بالمقارنة بمثيلاتها من الخطط التي خُصصت لدول أخرى من العالم. (١)

كذلك انضمت الصين إلى صندوق النقد الدولي في ١٩٨٠ ، وإلى البنك الدولي ، وصارت موارد الصندوق وخبراته متاحة أمام الصين لتقديم العون لها في العديد من المسائل. وكان أهم هذه المسائل مشكلة العجز التجاري الصيني، وضبط أسعار الصرف في تنسيق بين الصين وصندوق النقد الدولي ملتزمة بالتوجيهات المقدمة من الصندوق في موضوعات بالغة الأهمية مثل العرض النقدي (Money Supply) أثناء تحول الصين نحو اقتصاد السوق ، وأسواق أسعار الصرف وغيرها.

---

(١) د. / حنان قنديل ، المصدر السابق. ص ص.(١٥ – ١٦).

وفازت الصين بمزايا مماثلة بانضمامها إلى عضوية البنك الدولي، والمؤسسات الملحقة به كالبنك الدولي للإنشاء والتعمير ، ومنظمة التنمية الدولية ، ووكالة الضمان الاستثماري متعددة الأطراف. فقد حصلت الصين من البنك الدولي في الفترة بين ١٩٨١-١٩٩٧ على ما يوازي ٢٦ بليون دولار تم تخصيصها لتمويل ١٧٣ مشروعًا ، ومن البنك الدولي للإنشاء والتعمير في ذات الفترة (أى نحو إحدى عشرة سنة) حصلت على قروض قيمتها ١٦٫٦ بليون دولار لتمويل نحو مائة مشروع. كذلك قدمت " منظمة التنمية الدولية" للصين منحًا قُدرت بحوالي تسعة بلايين دولار تم إنفاقها على خمسة وستين مشروعًا. [(١)]

وفي مجال النشاط الزراعي بدأت الصين إجراءات تحويل الكوميونات – تلك الصورة التي ظلت سائدة حتى عام ١٩٨٠ – إلى ما عُرف بنظام "المسؤولية الأسرية". وقد شمل هذا التحول تغييرات هامة في حقوق الملكية للأسرة القروية التي تحولت في ظل النظام الجديد إلى وحدة الإنتاج الزراعية الأساسية .

لكن النشاط الصناعي هو القطاع الذي حظى بالاهتمام الأكبر ، وخاصة بالنسبة للمشروعات الصناعية المملوكة للدولة في النصف الأول من التسعينيات – ذلك أن تلك المشروعات كانت قد تعرضت للكثير من الانتقادات من قِبل المؤسسات الاقتصادية العالمية ، وخاصة صندوق النقد الدولي حيث كانت هذه المشروعات المملوكة للدولة تستحوذ على نحو ٦٠٪ من إجمالي الاستثمارات القومية ، فضلاً عن حصولها على دعم حكومي يوازي نحو ثلث ميزانية الدولة . وبرغم هذا ، كانت بمستوى الجودة والكفاءة العالميتين – الأمر الذي تجلى في صورة عجز ٧٠٪ من هذه المشروعات عن سداد ديونها الحكومية .

لذلك قامت الصين بما تم اعتباره استجابة لتوجيهات خبراء صندوق النقد الدولي بنظام جديد، بتطبيق نظام ملكية الأسهم حتى في المشروعات الصناعية المملوكة للدولة ابتداء من عام ١٩٩٤ . [(٢)]

---

(١) د. / حنان قنديل ، نفس المصدر، ص.ص.(١٦ – ١٧).

(٢) د. / حنان قنديل ، نفس المصدر، ص. ٢١.

ثالثًا: تطور علاقاتها الدولية

(ا) بدء الشعور بالثقة الذاتية

تمثل الثقة بالذات المقدمة الأولى لكيفية ونمط العلاقات الدولية: ففي صيف ٢٠٠٣، وحينما كانت الأزمة النووية على أشدها بالنسبة لكوريا الشمالية تطلعت الأنظار لواشنطن، وبيونج يانج. ولم يدر بخلد أحدٍ أن هناك دورًا سوف يبرز لبكين، على اعتبار أن الصين كانت لاتزال عازفة عن الانخراط في أمور السياسة الخارجية. لكن ما حدث أنها فرضت وجودها وللمرة الأولى على المعترك السياسي الدولي، فبعثت بمندوبيها إلى بيونج يانج وبعثت بقوات لها حول الحدود الصينية –الكورية، كما أن الصين هى التي قامت بترتيب اللقاء الثلاثي الذي تم عقده في بكين في إبريل من ذلك العام، ومارست الصين ضغطها منذ ذلك التاريخ على بيونج يانج.

وكانت هذه المبادرات تمثل في واقع الأمر تحولاً جذريًا عن المواقف السلبية إزاء الموقف النووي الكوري الشمالي، وصار ذلك يمثل تحولاً هامًا في مواقف الصين الدولية. ففي أوائل القرن العشرين كانت مواقف الصين تتسم بعدم الرغبة في التصادم، ومزيد من الثقة في الذات، وتعاطفًا إيجابيًا تجاه الشؤون العالمية والاقليمة.

ويلاحظ من ناحية أخرى، أن الصين قد بدأت تعمل على توسيع دائرة علاقاتها الثنائية من جهة وتعميقها من جهة أخرى، كما عمدت إلى الانضمام إلى مختلف الاتفاقيات الأمنية، وتعميق مشاركتها في عدد من المنظمات متعددة الأطراف. وبدأت الصين ترى في نفسها قوة كبرى لها مصالحها، ومسؤولياتها الدولية المختلفة، وليست الصورة القديمة كدولة وقعت فريسة للدول المتطورة –كما كان عليه حالها في ظل "ماوتسى –تونج"، و "دنج تشياو بنج".

لذلك فإن التحول في سياسة الصين الخارجية قد بدأ خلال ما يزيد على عقدٍ ونصف من الزمن في ظل " دنج تشياو بنج"، حيث بدأ أول تحول في نوعية العلاقات الكبرى وحين طرح أفكاره حول الإصلاح والإنفتاح في أواخر

السبعينيات من القرن الماضي. فقد كان الحال قبل "دنج" يتمثل في رفض "ماو تسى - تونج" لأحكام النظام العالمي القائم في عهده مُحبذًا التغيير عن طريق الثورة .

أما " دنج" فقد قاد الصين في الإتجاه المعاكس ، فرأى أنه لكي يتسنى التحديث الاقتصادي للبلاد لابد من تشجيع المشاركة مع الجماعة الدولية . ولذلك قامت الصين في عهده بتوسيع نطاق وضعها الدولي عن طريق زيادة مشاركتها في المنظمات التي تقوم بين الحكومات وغير الحكومات أيضًا، خاصة المالية منها . وصارت الصين تنحو تدريجيًا نحو الظهور ، تاركةً وضع الانعزال الذي ساد في عصر الزعيم "ماوتسى - تونج" ظهريًا .

ويلاحظ أنه في ظل الأوضاع الراهنة ، قد تحسن الوضع الخارجي للصين تنحسنًا كبيرًا . وهذا التغيير تمثل في حقيقة الأمر في محاولة من جانب قادة الصين الحاليين التنصل من عزلة " تيان مين" ، وإعادة بناء صورة بلادهم ، وحماية وتشجيع المصالح الاقتصادية ، ورفع مستوى أمن بلادهم ، وتحاشي النفوذ الأمريكي حول العالم .

غير أن التحول الجدي بدأ في مستهل التسعينيات من القرن الماضي ، حينما عمدت بكين إلى توسيع نطاق علاقاتها الثنائية . ففي هذه الفترة بدأت الصين البناء على هذه العلاقات الجديدة . وشهدت الفترة مابين ١٩٨٨-١٩٩٤ قيام الصين بتطبيع علاقاتها أو إنشاء علاقات دبلوماسية مع ١٨ بلدًا ، وأيضًا مع الدول التي كانت في كنف الإتحاد السوفييتي ، وأقامت مختلف المشاركات بهدف تيسير سبل التنسيق الاقتصادي والأمني ، وتفادي نظام الولايات المتحدة الرامي إلى إيجاد تحالفات إقليمية.

وكانت ذروة هذه العملية ممثلةً في معاهدة حسن الجوار (Treaty of Good Neighborliness and Friendly Cooperation) التي وقعتها مع روسيا في عام ٢٠٠١ .

وأثناء هذه الفترة ، بدأت بكين كذلك في التخلي عن مقتها السابق

للمؤسسات متعددة الأطراف ، والتى كان " دنج" يخشى من أن تكون وسيلة للعقاب أو لاحتواء الصين . كذلك بدأ القادة الصينيون في الاعتراف بأن هذه المنظمات يمكن أن تسمح لبلادهم بتنمية تجارتهم وأمنهم ، وتحديد نطاق الضغط الأمريكي.

لذلك فقد بدأت الصين في النصف الثاني من القرن العشرين في التعامل مع "رابطة جنوب شرق آسيا" (ASEN). ففي ١٩٩٥ بدأت بكين في عقد الاجتماعات السنوية مع كبار مسؤولي "الأسيان" . وبعد انقضاء عامين بعد ذلك ، ساعدت الصين في إيجاد آلية (الأسيان+٣)، وهى سلسلة من إجتماعات سنوية بين الدول العشرة أعضاء الأسيان + الصين واليابان وكوريا الجنوبية . وجاء بعد ذلك آلية (الأسيان +١) للاجتماعات السنوية ، بين " الآسيان" والصين يترأسها عادة رئيس الوزراء الصيني .

كذلك عمدت الصين إلى تعميق مشاركتها في محفل " التعاون الاقتصادي لآسيا الباسيفيكية" واستضافت لديها الإجتماع التاسع لزعماء هذا المحفل في شنغهاى في ٢٠٠١.

أما في آسيا الوسطى ، فإن الصين تزعمت إقامة أول مجموعة متعددة للمنظمة بقصد تسوية النزاعات التي طال عليها الأمد حول الأراضي ، ونزع السلاح في مناطق الحدود .. وتشدد هذه المنظمة الآن على التعاون ضد الإرهاب ، وتنشيط التجارة الإقليمية ، ومن جهة أخرى، وجهت الصين اهتمامها لتحسين علاقاتها مع أوروبا . ففى عام ١٩٩٦ كانت الصين عضوًا مؤسسًا لاجتماع آسيا –أوروبا، والذي يعقد قممًا كل سنتين لرؤساء الدول ، فضلاً عن اجتماعات وزارية سنوية . ثم بعد سنتين أخيرتين أقامت الصين والإتحاد الأوروبي حوارًا سياسيًا سنويًا. وكذلك بادر الإتحاد الأوروبي لإيجاد حوار سياسي مع الصين . أما ما هو أكبر" دراماتيكية"، فهو أن الصين تقدمت نحو حلف شمال الأطلسي (الناتو) عام ٢٠٠٢ للمرة الأولى . وكان اقتراح الصين هو البدء في سلسلة من المحادثات ، وقد يبدو ذلك متواضعًا ، لكنه يدل على تحولٍ ذي مغزى بسبب

النقد الذي كانت توجهه الصين للتحالف بقيادة أمريكية .

على أن هناك إشارة لا يمكن أن تغفلها العين باعتبارها اعتناقا جديدًا للأمن الجماعي باستخدام الخلافات داخل التحالفات عبر الأطلنطي خاصة تدخل الناتو في آسيا الوسطى . فخلال التسعينيات من القرن الماضي تحركت الصين لحل عدد من النزاعات على الأراضي والتى كانت تشكل تاريخيًا توترات بينها وبين جاراتها . فمنذ ١٩٩١ استطاعت الصين حل نزاعات الحدود مع كلٍ من كازاخستان وقرغيزستان ، ولاوس ، وروسيا ، وطاجيكستان، وفيتنام ، وقد فعلت ذلك بشروط لا تعتبر في صالحها تمامًا في بعض هذه التسويات . ففي غالبيتها لم تحصل الصين إلا على نحو ٥٠٪ من هذه التسويات ، وربما أقل بالنسبة للأراضي الحدودية المتنازع عليها.[1]

ولقد عملت الصين في ذات الوقت على زيادة مشاركتها في مجلس أمن الأمم المتحدة. فحتى منتصف التسعينيات، كانت الصين تمتنع عن التصويت على نحوٍ منتظم على قرارات المجلس التي تتعرض للفصل السابع من ميثاق المنظمة والذي يتيح إستخدام القوة من أجل إعطاء مؤشر لمعارضتها لمساس ذلك بالسيادة . أما في السنوات الأخيرة ، فقد بدأت بكين، على أية حالٍ مساندة هذه التدابير، وعلى سبيل المثال، أنه في نوفمبر ٢٠٠٢ صوتت على القرار رقم ١٤٤١ حول التفتيش على الأسلحة في العراق ، وهذه كانت من المرات القليلة التي تساند فيها الصين تدابير الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، منذ انضمامها إلى الأمم المتحدة عام ١٩٧١ .

(٢) التعاطي الصيني الجديد للمسألة التايوانية

لقد ظلت تايوان أهم تحديات الأمن الصيني ، وأهم المسائل الحساسة بالنسبة لسياسات الصين الخارجية . لكن تناولها مؤخرًا لهذه المسألة يكشف النقاب عن تحولها في أسلوبها السياسي ، وثقتها بنفسها . فمنذ منتصف التسعينيات ، وحتى

(1) Evans Medinos and M. Taylor Fravel China, New Diplomacy, Foreigen Affairs Novembe,/December P.P 22-27.

٢٠٠١ كانت سياسات الصين بالنسبة لعلاقاتها عبر المضيق غير آمنة. وكانت الصين ينتابها القلق الشديد حول إمكانية إستقلال تايوان . واعتمدت الصين سياسة القهر للحيلولة دون إتمام ذلك الاستقلال بأكثر من اتجاهها لتشجيع إعادة الوحدة . وكان المسؤولون الصينيون يعارضون بمرارة أى تحسين للروابط العسكرية بين تايوان والولايات المتحدة . وظلت هذه الجزيرة نقطة ملتهبة في العلاقات الأمريكية – الصينية .

لكن هذا التعاطي مع المشكلة قد أثبت عدم جدواه . وعلى سبيل المثال ، ان الصين حينما استخدمت اختبارات صاروخية في عامى ١٩٩٥، ١٩٩٦ على أمل إخضاعها قادة كل من تايوان والقادة الأمريكيين جاءت النتيجة عكسية تمامًا، فقد قامت الولايات المتحدة بإرسال اثنتين من حاملات الطائرات إلى خليج تايوان، بالإضافة إلى دعم الرئيس التايواني حينذاك " لى – تنج – هوى" من جانب المنتخبين. كذلك أضرت التدريبات العسكرية الصينية من جهة والدبلوماسية العدائية من جهة أخرى بصورة الصين في المنطقة ، خاصة لدى دول جنوب شرقى آسيا .

غير أن الصين كانت قد أقدمت على خطأ آخر بعد أربعة سنوات أخرى ، وذلك حين أصدرت في عام ٢٠٠٠ كتابًا أبيض حول تايوان ، تشير فيه إلى أن " التأخير الذي لا آخر له" للعودة إلى المفاوضات عبر المضيق يمكن أن يؤدي إلى استخدام الصين " تدابير صارمة"، بما في ذلك استخدام القوة. وكانت إحدى أهداف بكين المفترضة هو وضع إطار زمنى مُحدد لإجراء إعادة الوحدة – لكن النتيجة كانت أنه بعد انقضاء بضعة شهور قليلة ، قامت تايوان بانتخاب أول رئيس لجمهورية تايوان من ذوى النزعة الاستقلالية .

وخلال السنتين التاليتين ، بدا وكأن الصين قد بدأت تدرك الدرس. فتحولت عن موقفها العدائي الإخضاعي لممارسة نوع آخر من الاعتدال. لذلك تكون الصين قد أحجمت عن محاولاتها إيجاد جدول صارم لإعادة الوحدة ، وتخلت عن تهديداتها باللجوء إلى القوة العسكرية لإغواء تايوان بعروض

اقتصادية. وأكثر من ذلك ، لم يعد القادة الصينيون يعترضون بشدة على كل علاقة بين الولايات المتحدة وتايوان. وحقيقة الأمر أن كبار المسؤولين الصينيين قد توقفوا عن ذكر هذه المسألة كلما توافرت لهم لقاءات مع نظرائهم من الأمريكيين .

(٣) صنع السياسة بأسلوب صيني:

تعتبر أحد مؤشرات التغيير في صنع السياسات في الصين متمثلة في توسيع الدور لما أصبح يسمى في الصين " بالجماعات الصغيرة القائدة"، بما يعني التنسيق من خلالها ببين الأجهزة المهمة في الموضوعات الكبرى السياسية. ففي أواخر عام ٢٠٠٠ على سبيل المثال، أنشأت الصين ما يسمى " بالمجموعة الأمنية القومية القائدة". وتنتشر هذه الأجهزة خلال نظام الحكم الصيني بُغية الحد من تفرد أى فرد أو طائفة محددة بإصدار القرارات .

ومن ناحية أخرى ، قامت الصين بتنويع مصادر تحليل السياسة التي تتلقاها الدولة ، سواء من داخل الحكومة أم من خارجها . والمثال على ذلك ، أنه قد أُنشئ قسم تخطيط السياسات في وزارة الخارجية الصينية يلعب الآن دورًا مهمًا كمستودع فكرى متميز (Think Tank)، كما أن هذه الوزارة قد بدأت منذ فترة في استئجار خدمات المتخصصين من خارج الحكومة للعمل كمستشارين بالنسبة للموضوعات الفنية مثل "عدم الانتشار النووي" أو دفاعات الصواريخ.

ويشارك الدارسون الصينيون بشكل منتظم مع جماعات الدراسة في الدراسات الداخلية ، ويقدمون التقارير، ويصيغون مسودات السياسة. وهؤلاء الدارسون والمحللون يسافرون إلى الخارج ، ويتفاعلون مع الخبراء العالميين في مجالات تخصصهم، ومن ثم يساعدون في تنوير (Sensitize) القادة الصينيين حول الاتجاهات الدولية – فضلاً عن تزويدهم بنطاقٍ منم خيارات السياسة .

وهناك عامل آخر تسبب في توسيع نطاق عملية صنع القرارات السياسية الخارجية، يتمثل في المناقشة العامة الجماهيرية بالنسبة للشؤون الدولية.

فالمناقشات المفتوحة حول الموضوعات الحساسة مثل " عدم الانتشار النووي" والدفاع الصاروخي لم يكن يسمع عنها أحد منذ نحو عقدين من الزمن. والآن، هناك فرق تتناول كافة هذه الموضوعات ، سواء في التليفزيون أو المؤلفات التي ترمي إلى التأثير على دبلوماسية الصين. وبدأت الصين منذ منتصف التسعينيات إصدار ما سمى بالصحف البيضاء" حول موضوعات السياسات الصينية الخارجية لإيضاح مراميها، والدفاع عن مواقفها. فالصين قد أصدرت في الآونة الأخيرة ما يزيد على ٣٠ من هذه الوثائق تغطي مجموعة واسعة من الموضوعات الحساسة ، بما في ذلك تنظيم النسل ، وحقوق الإنسان ، وتايوان ، والتبت ، والدفاع القومي .

ومع هذه التغيرات الداخلية ، فإن الصين قد انتهجت نهجًا متميزًا بالنسبة لوسائل الإعلام العالمية . نشهده في عام ١٩٩٩ حيث فتحت وزارة الخارجية مركزًا إعلاميًا حديثًا حيث يتم عقد مؤتمرات صحفية كل أسبوعين مع ترجمة فورية ، توجه من خلال أسئلة صعبة، وردود حقيقية. كذلك يقوم الصحفيون بعد كل قمم ثنائية يجري عقدها، مثل رحلة" جيانج نزيمين " إلى كراو فورد ، وتكساس في أكتوبر ٢٠٠٢، ومثل هذه الخطوات تمثل تغييرًا جذريًا لدولة كانت يومًا تعرف بسريتها الشديدة في أمور السياسة الخارجية . وما كان كل ذلك ممكنًا " في ظل عصر كلٍ من "ماوتسي –تونج" ، أو "دنج" .

(٤) علاقات الصين مع الدول الإفريقية

لقد أصبحت السياسة الخارجية للصين تركز بالدرجة الأولى على النواحي التجارية، بعد أن قطعت شوطًا بعيدًا في المسائل الإيديولوجية. ففي أفريقيا على سبيل المثال ، تعمل الصين على إيجاد روابط اقتصادية. فالقارة الأفريقية بها مصادر طبيعية هائلة، وخاصة النفط والغاز الطبيعي، التي تحتاج إليهما الصين لمزيد من النمو. ونجد أن كلاً من بكين والحكومات الإفريقية ترحب بالعلاقات التجارية –في جانب منها لأنه ليس هناك ماضٍ استعماري، أو تاريخ يعمل على تعقيد الأمور، ولذلك تزدهر العلاقات التجارية.

وتنمو التجارة بين الطرفين بنحو ٥٠٪ كل عام ، كما نجد أن الاستثمارات الصينية في أفريقيا تنمو بمعدل أسرع. ففي كثير من الدول الأفريقية صار النمو الاقتصادي مرتفعًا، وهو واقع يعزوه الكثيرون إلى علاقاتهم الجديدة مع الصين. والبعض في القارة الإفريقية يرون هذه العلاقة استغلالية ويمقتون القوة الجديدة للصين . لذلك ، فإن الصين تفعل ما وسعها الجهد لكى تُظهر حسن مقاصدها. وعلى سبيل المثال ، أنه في نوفمبر من عام ٢٠٠٦ عقد الرئيس الصيني " هو – جينتاو" قمة حول العلاقات الصينية – الأفريقية ، حضرها كافة الثمانية والأربعين دولة أفريقية التي ترتبط بعلاقات دبلوماسية مع الصين ، وقد مثل رؤساء دولهم ، أو رؤساء الوزراء فيها دولهم . ولقد كان ذلك في واقع الأمر أكبر قمة أفريقية تم عقدها خارج القارة الأفريقية وفي هذا الإجتماع وعدت الصين بمضاعفة مساعداتها لأفريقيا خلال عامين ، وتقديم ٥ بليون دولار كسلف وقروض، وإنشاء صندوق بمبلغ (٥ بليون دولار) لتشجيع مزيد من الاستثمارات الصينية في أفريقيا ، وإلغاء الكثير من الديون التي للصين طرفهم، وتهيئة المزيد من الدخول الأفريقي إلى السوق الصينية ، وتدريب خمسة عشر ألفًا من الأفارقة المهنيين ، وبناء مستشفيات جديدة، ومدارس على إتساع القارة . وما يجدر ذكره ما قاله رئيس الوزراء الإثيوبي "ميليس زيناوي": " إن الصين تعتبر بمثابة إلهام لنا جميعًا".[1]

وما هو الغبار على بناء مثل هذه العلاقات مع أفريقيا ؟ لا شيء – سوى أن الصين حينما تتحرك صوب أفريقيا فإنها تحتل فراغًا سياسيًا واقتصاديًا ، وعسكريًا كانت تحتله كلٌ من بريطانيا أو فرنسا ، أو الولايات المتحدة. وهذا يعني احتكاكا بالضرورة حيث تناضل كل من هذه القوى الكبرى لترويج مصالحها وتصورها للقيام بالعمل الصحيح في أفريقيا. أما الصين فتفسيرها لأعمالها هذه ، أنها لا تتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول .

وهناك قصة حول تفاوض الحكومة النيجيرية حول سلفة قدرها ٥ مليون

(1) F. Zakaria, Op. Cit, PP. 116-117.

دولار لأنظمة القطارات مع البنك الدولي في عام ٢٠٠٧ . وأصر البنك الدولي على أن تقوم الحكومة بتطهير الفساد الذي عُرف عن مسؤولي السكك الحديدية قبل أن يوافق البنك على هذه السلفة ، لكن الصفقة تمت حينما تدخلت الحكومة الصينية في الأمر ، وعرضت تقديم مبلغ ٩ بليون دولار كسلفة منها لإعادة بناء كافة نظام السكك الحديدية بكامله – دون قيود ، ولا متطلبات ، أو إجراء أية إصلاحات في نظام السكك الحديدية .

من جهة أخرى، فإن الصين تشتري البلاتونيوم والحديد الخام من زيمبابوي، ثم تبيع لروبرت موجابي أسلحة – رغم الحظر الذي فرضته الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي – والذي يستخدمه موجابي لإرهاب واعتقال واغتيال المعارضة الداخلية . وهكذا أصبحت بكين أهم داعم لموجابي في مجلس الأمن .

وبالنسبة للسودان ، فإن إنغماس الصين كان أكثر عمقًا. فقد إستثمرت الصين ٣ بليون دولار في حقول النفط هناك منذ عام ١٩٩٩ . وتعتبر الشركات الصينية أكبر حاملي الأسهم في أكبر تجمعين للنفط في البلاد. وتشتري الصين ٦٥٪ من صادرات السودان من النفط .

وتحتفظ الصين بنوع من التحالف العسكري مع السودان . ورغم الحظر الذي تقرره الأمم المتحدة ، فقد أمدت الصين السودان بالأسلحة التي صارت في أيدي الميلشيات التابعة للنظام في إقليم "دارفور". وكثيرًا ما يؤكد المسؤولون الصينيون بأنه لا توجد علاقة عسكرية لهم مع السودان، وأنهم إنما يودون الإبقاء على علاقاتهم على هذا النمط . ولدى شرح وضع بلادهم ، فإن نائب وزير الخارجية الصيني كان صريحًا بقوله "إن التجارة هى التجارة (Business is Business) – إننا نحاول فصل السياسة عن التجارة ، وثانيًا ، إنني أعتقد أن الوضع الداخلي في السودان هو شأن داخلي ، ولسنا في وضع نفرض عليهم فيه شيئًا". (١)

فإذا كانت الصين لاعبًا صغير الحجم في المعترك الدولي ، فلم يكن ليعنيها

---

(1) F. Zakaria, Ibid, PP. 118-119.

كثيرًا ما كانت تفعله في زيمبابوي ، أو السودان. لكن هناك سببًا وحيدًا يجعل الصين تركز اهتماماتها على أفريقيا وهو أن القارة طالما ضمت عددًا من البلاد كانت وثيقة الصلة بتايوان ، ورغم أن سبعة من بين ٢٦ حكومة في العالم التي لها علاقات دبلوماسية مع تايوان اليوم هم في أفريقيا ، ومن ناحية أخرى ، فإن ستة دول أفريقية – بمن فيهم جنوب أفريقيا – قد حولوا اعترافهم بتايوان إلى بكين عبر العقد الزمن الماضي بفضل هذه المعونات الصينية.

على أن الجاذبية التي تحظى بها أفريقيا تجاه الصين واضحة وجلية، فالصين بحاجة إلى سلسلة من المواد الخام لدفع المزيد من نموها الاقتصادي . ففي عام ٢٠٠٣ كانت الصين تستهلك ٧٪ من جملة استهلاك العالم بأسره من النفط ، بالإضافة إلى ٢٥٪ من الألومنيوم ، وكذلك ٢٧٪ من إنتاج العالم من الصلب ، فضلاً عن ٣١٪ من الفحم، ٤٠٪ من الأسمنت.

وتعتبر الصين دولة فقيرة جدًا من ناحية الموارد الطبيعية ، ونتيجّة لذلك فإنه لم يكن أمامها من خيار سوى البحث عنها في الخارج. أما أفريقيا على الطرف الآخر، فهي غنية جدًا بالمواد الخام ، والاكتشافات الحديثة للنفط والغاز الطبيعي. وعلى خلاف الشرق الأوسط الذي يستحوذ على اهتمام أمريكي كبير، فإن أفريقيا كانت قد أُهملت نسبيًا في السنوات الماضية، وبقيت بمثابة ركن هامشي بالنسبة للاهتمامات الأمريكية.(١)

وبصفة خاصة، فإن النفط الآن يشكل ما يزيد على نصف صادرات أفريقيا للصين ، حيث حلت أنجولا محل السعودية باعتبارها البلد الأكبر المورد للنفط الذي يشكل نحو ١٥٪ من كافة احتياجات الصين منه . كذلك هناك مصالح للصين في الجزائر ، وتشاد، والسودان، وغينيا الاستوائية ، والكونغو ، وأنجولا ، والسودان ، ونيجيريا.

فالسودان تصدر نصف نفطها للصين بما يشكل ٥٪ من احتياجات الصين منه. وبالفعل، فإن ما يزيد على ٣١٪ من واردات الصين يأتيها من القارة

(1) M. Jacques, Op.Cit. P.P. 321 – 322

الأفريقية . ومن المحتمل أن ترتفع هذه النسبة مع شراء الصين لحقوق إنتاج منطقة الدلتا في نيجيريا. وعبر العقد الزمني الماضي ، كانت الصين تستورد كافة مجموعات المواد الخام – فيما عدا الحديد الخام والمعادن – والتى زادت بمعدل أسرع من أفريقيا عنه عن باقي دول العالم .

وتشكل أفريقيا الآن نحو ٢٠٪ من إجمالي واردات الصين من خشب البناء (Timber) وتخطت الصين بريطانيا ، لتكون ثالث أهم شريك تجاري بعد الولايات المتحدة ، وفرنسا ، رغم أن أفريقيا لا تمثل سوى ٣٪ فقط من مجمل تجارة الصين . ورغم أن قيمة التجارة الأمريكية – الأفريقية في عام ٢٠٠٦ قد بلغت ٧١ر١ بليون دولار ، فإن حجم تجارة الصين مع أفريقيا تنمو بمعدل سريع بحيث تشكل ٥٠ر٥ بليون دولار ، مع وجود نحو ٨٠٠ مشروع جرى تمويلها صينيًا بلغت قيمتها الإجمالية نحو ٢٥ر١ بليون دولار في عام ٢٠٠٥ .

ومن جهة أخرى ، فإن دليل التواجد الصيني في أفريقيا يبدو واضحًا في كل مكان تقريبًا ، مثل مواقف السيارات في زامبيا ، وسيارات التحميل الصينية في جمهورية أفريقيا الوسطى ، والسياح الصينيين في زيمبابوى، والصحف الصينية في جنوب أفريقيا ، والجيولوجيين الصينيين في السودان ، والقنوات الصينية في التليفزيون الأفريقي. ويقدر أن هناك مايزيد على ٩٠٠ شركة صينية كبيرة ومتوسطة الحجم تمارس نشاطها الآن في أفريقيا ، إلى جانب أعداد كبيرة من أصحاب المشروعات الصغيرة ، خاصة في مجال تجارة التجزئة. فلقد انتشرت المحال الصينية على وجه الخصوص بسرعة كبيرة ، مسببة قدرًا كبيرًا من الإزعاج بين السكان الأفريقيين ، ففي "أوشيكانجو" ، ناميبيا ، على سبيل المثال كان قد تم إفتتاح أول محل في ١٩٩٩، ولكن بحلول عام ٢٠٠٤ كان هناك اثنان وعشرون محلاً ، وبحلول عام ٢٠٠٦ أصبح هناك مالا يقل عن خمسة وسبعين من تلك المحلات .

وفي العاصمة السنغالية "داكار" التي تعتبر كلها بمثابة شارع عريض تكتنفه الأشجار بامتداد نحو كيلو متر تحفها من كل جانب محلات صينية لبيع أحذية

النساء المستوردة ، والأواني الزجاجية والسلع الإليكترونية ، بأدنى الأسعار المتصورة.[1]

(٥) الطاقة الاقتصادية والتكنولوجية للصين

من المبادئ المقررة هو أنه لا ريادة لأمة دون أن تستند على قوة اقتصادية ، ولا تندفع هذه القوة إلى مداها دون الإلمام بأحدث وسائل التكنولوجيا في العالم إن لم تكن رائدة فيها .

فلقد أصبح الاقتصاد الياباني مثلاً غنيًا بشكل متزايد حين ألم بأحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا . لذلك لن يكون السند الوحيد لهذا الاقتصاد الصيني أن يرتكز فقط على العدد السكاني الذي يبلغ أربعة مرات نظيره في الولايات المتحدة. فالشركات الصينية تعتبر حاليًا ثلاثة من بين أكبر عشرة شركات عالمية عملاقة ، طبقًا للقيمة السوقية .

وكذلك للصين استثمارات خارجية ضخمة بعد تحرير حركة رؤوس الأموال، وخاصة في ظل مستوى الادخار المرتفع. ففى ٢٠٠٧ تجمع لدى الصينيين ٤ر٨٠٠ بليون دولار من المدخرات الداخلية ، تعادل نحو ١٦٠٪ من إجمالي الناتج القومي للبلاد . وإذا افترضنا أن المدخرات سوف تنمو بمعدل ١٠٪ سنويًا،فسوف يكون لدى الصين في المنطقة ١٧ر٦٠٠ بليون دولار من المدخرات بحلول عام ٢٠٢٠ تستطيع الصين أن يكون لها بمثابة حساب رأسمالي مفتوح. وإذا ذهبت مجرد نسبة ٥٪ من هذه المدخرات خارج البلاد في ٢٠٢٠ ، فإن ذلك سوف يكون مساويًا لمبلغ ٨٨٥ بليون دولار كاستثمارات خارجية ، فإذا وصل هذا الخروج إلى نسبة ١٠٪ من مجمل المدخرات ، لكان هناك مبلغًا يصل إلى ١ر٧٠٠ بليون دولار سوف يذهب إلى خارج البلاد . ولتقديم نوع من المقارنة، نجد أنه في عام ٢٠٠١ كانت صادرات الولايات المتحدة غير المنظورة قد بلغ إجماليها ٤٥١٫٠٥ بليون دولار .

---

(١) M. Jacques, Ibid. P. 326.

وحقيقى ، أن الاستثمارات الصينية خارج البلاد لا تزال في بداياتها ، لكنها تنمو بمعدل سريع جدًا . فلقد وصلت الاستثمارات الصينية في الخارج إلى ما يزيد على ٥٠ بليون دولار في عام ٢٠٠٨ ، مع معدل زيادة سنوية في المتوسط بلغت ٦٠٪ بين ٢٠٠١، ٢٠٠٦. وكإشارة لما سوف يكون عليه هذا الإتجاه في المستقبل طبقًا لرؤية البنوك الصينية في المؤسسات المالية الغربية ، حيث تجد لديها ندرة في رأس المال في أواخر ٢٠٠٧ تبعًا لضغط القروض الذي بدأ في أغسطس من ذلك العام. وبنهاية ٢٠٠٧ كانت المؤسسات المالية الصينية تمتلك ٢٠٪ من بنك ستاندرد (Standard Bank) ، وكذلك نسبة ٩ر٩٪ من "مورجان ستانلي" (Morrgan Stanley) ، ونسبة ١٠٪ من " بلاك ستون"(Blaak Stone) ، ونسبة ٦ر٢٪ من باركليز (Barclays). على كل ، فإن ذلك قد أثبت أنها علاقة مؤثرة –بالنظر إلى أن الحكومة الصينية على وعى متزايد بعمق الأزمة المالية الأمريكية ، فقد نصحت بنوكها بالامتناع عن الانخراط في صفقات إنقاذٍ للبنوك الأمريكية والأوربية .

وهناك كثير من الدلائل على أن الصين تصعد وبطريقة ثابتة السلم التكنولوجي والعلمي . ففي الآونة الراهنة لا تزال الصين في دور التقليد بشكل كبير ، وليس بالأحرى في دور التجديد والابتكار، لكن حجم البحوث العلمية الجدية يرتفع بسرعة كبيرة . وطبقًا للإنفاق على البحث والتطوير ، فلقد بلغت الصين بالفعل المرتبة الخامسة للدول الرائدة بالنسبة لإسهامها في مجالات النشر العلمي ، وأصبحت بارزة في مجالات مهمة مثل "النانو تكنولوجي" (Nanotechnology). وفي عام ٢٠٠٦ وطبقًا لبيانات منظمة (OECD) ، فإن الصين تجاوزت اليابان لتكون ثاني أكبر دول العالم في البحث والتطوير (R & D) بعد الولايات المتحدة.

وتكون الصين –في ظل ٥ر٦ مليون من أبنائها حصلوا على الدراسات الجامعية، ونصف مليون في دراسات ما بعد الجامعة منهمكين في أبحاث للعلوم والهندسة والطب –قد ضمت بذلك أكبر قوة عاملة على مستوى العالم. ففى

عامي ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٥ قامت الصين بإنجاز بعثتين فضائيتين تحت السيطرة. في حين أنها في ٢٠٠٧ تمكنت من تدمير أحد الأقمار الصناعية الفضائية التابعة لها بصاروخ باليستى من صنعها ، وبذلك تكون الصين قد أعلنت عن قصدها منافسة الولايات المتحدة في السيطرة العسكرية على الفضاء . وفي هذا السياق يبدو أنه من المحتمل بدرجة كبيرة أن تتمكن الصين من أن تبزغ كقوة عالمية كبرى في العلوم والتكنولوجيا .

وهناك آثار لواحدة من مجالات الصعود الصيني عالميًا، والتى سوف تعيد تشكيل النظام المالي العالمي، ففى عام ٢٠٠٧ –ولأول مرة منذ عام ١٩١٨ ، حينما بدأ الدولار يحل محل الجنية الإسترليني باعتباره العملة الدولية الرائدة ، وجد نفسه أمام منافس جديد في شكل " اليورو". ولكن بعد ٢٠٠٢ كانت قيمة الدولار قد أصابها الوهن بسبب عجز ثنائي حدث (وبالتحديد عجز ميزان المدفوعات الأمريكي ، والعجز الذي أصاب الإنفاق الحكومي الأمريكي)، مقترنًا ذلك بالانخفاض الطويل المدى للاقتصاد الأمريكي ، فكان الانخفاض في القيمة الخارجية للدولار شديد الانحدار في مواجهة اليورو. فبحلول نهاية ٢٠٠٧ تآكلت قيمته بنسبة ٤٠٪ ، منذ كان في قمته في نهاية يناير ٢٠٠٢ --لكنه استعاد عافيته في نهاية ٢٠٠٨ –لكن ذلك من المحتمل أن يكون مجرد إجراء وقتى، فالأزمة المالية التي انطلقت في سبتمبر ٢٠٠٨ تفترض أن الولايات المتحدة لم تعد بعد قوية اقتصاديًا بالقدر الكافي لمواجهة النظام الاقتصادي الدولي الراهن. ودعم الدولار ليظل بمثابة النقد الاحتياطي الأول. على أن مغزى انخفاض الدولار ، ليس مقصورًا على العالم المالي ، ولكن له تداعيات وتشعبات أكثر من ذلك بالنسبة لمركز واشنطن على المسرح الدولي .

وفي هذا السياق ، يقول " فلينت ليفريت "(Flynt Leverett) أحد كبار رجال الأمن القومي السابقين في ظل إدارة الرئيس" جورج دبليو بوش"، إن ما قيل حول انخفاض الدولار مجرد تغليف للأمور الاقتصادية –لكن سياسات العملة قوية جدًا جدًا ، وتمثل جانبًا مما جعل قيادة الولايات المتحدة هذه المدة

الطويلة تشبه ما حدث لبريطانيا من قبل". وعلى نفس الوتيرة جاء تعليق " كينيث روجوف" (Kenneth Rogoff) الخبير الاقتصادي الأول السابق لدى صندوق النقد الدولي حين يقول " سوف يجد الأمريكيون القيادة العالمية أكثر تكلفة ، إذا قُدر للدولار أن ينزل من عليائه".

فعواقب سقوط الدولار يمكن أن تكون لها تأثيرات متعددة ، ذلك أن الدول سوف تفضل الاحتفاظ بنسبة متزايدة من احتياطياتها بعملات بخلاف الدولار – تلك الدول التي كانت فيما سلف تتمنى أن لو تكون عملاتها بالدولار، بما في ذلك الصين ، سوف لن تعود لفعل ما سبق ، ويكون من نتيجة ذلك أن تجد الولايات المتحدة أن العقوبات الاقتصادية مثلاً التي تم فرضها ضد دول مثل إيران ، وكوريا الشمالية لم تعد تحمل نفس التهديد ، لأن التمويل بالدولار صار أقل أهمية بالنسبة لهم. ولن تكون الدول راغبة في الاحتفاظ بفوائض تجاراتهم بسندات الخزانة الأمريكية .

غير أن انخفاض قيمة الدولار سوف يترافق مع ارتفاع العملة الصينية "الرين مين بي "(Ren Min Bi). وحتى الآن ، فإن دور " الرين مين بي " هو في الأساس الآن محكوم بعدم قابليته للتحويل إلى العملات الأخرى ، ولكن ربما في خلال الخمسة إلى العشرة سنوات القادمة قد يتوافر له القدرة على التحويل إلى باقي العملات ومنها. وبحلول ٢٠٢٠، فمن المحتمل أن يصبح قابلاً للتحويل تحويلاً كاملاً – مما يمكنه من أن يُباع ويُشترى مثل الدولار . وبحلول ذلك الوقت – إن لم يكن مبكرًا عن ذلك ، فإن غالبية دول شرق آسيا إن لم تكن كلها – بما في ذلك اليابان سوف تكون جانبًا من نظام عملة " الرين مين بي".

فإذا أخذنا في الحسبان أن من المحتمل للصين أن تكون الشريك التجاري لكل دولة في شرق آسيا ، فيكون من الطبيعي إذن أن تتم العمليات التجارية بتوسيط " الرين مين بي " بحيث يكون تحديد عملتهم بالنسبة له ، وليس بالأحرى بالنسبة للدولار بمثل ما هو الوضع الآن. وطالما يظل الدولار في حالة

ضعف تمشيًا مع اتجاه الاقتصاد الأمريكي نحو الضعف النسبي ، فضلاً عن ظهور بعض الدول النامية مثل الصين والهند ، فسوف يفقد الدولار ما كان يتمتع به من عظمة على المستوى العالمي ليحل محله مثلاً " سلة من العملات"، أو تتقاسم معه القوة كل من اليورو ، وربما الين الياباني. وحينما يتم جعل " الرين مين بي " قابلاً للتحويل كليةٍ، فإنه من المحتمل أن يصبح واحدًا من بين العملات الثلاثة الكبرى للاحتياطي مع الدولار، واليورو. ثم بمرور الوقت سوف يحل محل الدولار ليكون أكبر العملات الدولية تداولاً . وهذا ينهض بمثابة سيناريو محتمل خلال الخمسين سنة القادمة ، وربما على أكثر الاحتمالات العشرين أو الثلاثين سنة القادمة ، أو ربما أقل من ذلك.[1]

(٦) العلاقات الصينية مع الشرق الأوسط وإيران

من الحقائق المعروفة أن نحو ثلثى احتياطي النفط المؤكد تتركز في الخليج العربي. وتسيطر السعودية على ما يزيد على ربع هذا الاحتياطي، في حين تتقاسم العراق والكويت ما يقل قليلاً عن الربع.أ وتسيطر هذه الدول الثلاثة معًا على حوالي نصف الاحتياطيات النفطية المعروفة. ثم هناك إيران التي تعتبر منتجًا كبيرًا للنفط في المنطقة ، وتسيطر على ما يقل قليلاً عن عُشر احتياطيات العالم من النفط .

ومن ناحية أخرى ، نجد أن دول الخليج مسؤولة عن نحو ٤٠٪ من صادرات النفط الخام ، في حين تُسهم السعودية بنحو ١٢٪ ، وإيران بنحو٧٪ من هذه الصادرات وأصبحت الصين مستوردة للمنتجات النفطية في عام ١٩٩٣، والنفط الخام عام ١٩٩٦ وتذهب التقديرات إلى أنه بحلول عام ٢٠٢٠ فسوف يكون على الصين أن تستورد ما نسبته مابين ٥٧-٧٣ ٪ من متطلباتها النفطية . وكان أول شعور للصين بالاهتمام الشديد بالنسبة لإمداداتها النفطية أثناء التسعينيات من القرن الماضي – مما جعلها تبدأ في اتخاذ خطوات جدية

---

(١) M. Jacques, Ibid. P. 387.

لضمان حصولها عليه. وحتى عام ٢٠٠٦، كانت السعودية بمفردها أكبر مورد لها من النفط، ولكن إيران أصبحت شديدة الأهمية كذلك. لذا كان من الطبيعي للصين البحث عن علاقة أكثر توثقًا مع دول الشرق الأوسط.

وعلى خلاف الحال في أفريقيا، فإن المنطقة يجري النظر إليها من جانب الأمريكيين على أنها بمثابة دائرة نفوذ لها. لذلك، فإن الولايات المتحدة كانت متواجدة على نحو متزايد في الشرق الأوسط خلال السنوات الثلاثين الأخيرة تقيم العلاقات الوثيقة مع إسرائيل، والسعودية على وجه الخصوص، ودخلت في حربين خليجيتين مع العراق ثاني أكبر المنتجين للنفط حيث أسفر غزوها للعراق في ٢٠٠٣ عن احتلالها له.

أما الصينيون، كنتيجة لذلك، فقد كانت خطواتهم في المنطقة بحذر، مخافة اكتساب عداوة الولايات المتحدة التي كانت علاقاتها منذ ذلك الوقت الذي بدأت فيه فترة الإصلاح الصيني الداخلي، فأولت هذا الموقف أسبقية على ما سواه من المواقف. وعلى النقيض عما اتبعته بالنسبة لأفريقيا والتي تبوأت فيها الآن أهمية مركزية في سياساتها الخارجية، فإن الصين ترى في الشرق الأوسط أهمية ثانوية. وعبر السنوات القليلة الماضية، استخدمت الصين مختلف السبل الإستراتيجية لمحاولة ضمان إمداداتها النفطية من المنطقة.

فلقد سعت الصين إلى التفاوض على إمدادات نفط تكون طويلة المدى وبالدرجة الأولى إجراء مشاركة بترولية إستراتيجية مع السعودية عام ١٩٩٩، وحاولت الشركات الصينية العاملة في صناعة النفط اكتساب حقوق للاستثمار وتطوير آبار النفط في المنطقة. وفي النهاية، فإن الصين قامت بتشجيع شركات في الخليج للاستثمار في شركات التكرير الصينية من أجل الترويج لعلاقات أوثق.

ومن ناحية أخرى، فإنه يقع في صلب إستراتيجية الصين في الشرق الأوسط الاهتمام بإيران التي أقامت معها علاقات طويلة ووثيقة. فالبلدان على وفاق مع بعضهما انطلاقا بين حضارات قديمة لها تواريخ معروفة على مستوى العالم، وإنجازات حضارية تاريخية مشهود لها فضلاً عن شعور كلٍ منهما بدرجة من

التفوق تجاه الدول الأخرى في منطقة وجودهما. كما أن كلاً منهما قد عانى من القهر على أيدي الغرب اللذين تحملان له قدرًا من الكراهية على ما قدمت يداه ، وعلى أمل مشترك ، أنهما سوف يكونان أسعد حالاً في عالم لم يعد واقعًا تحت حكمه .

وترى الصين – وهى قوة عالمية صاعدة تبحث لنفسها عن علاقات صداقة مع دول أكثر قوة، على اعتبار أنه من المحتمل أن يؤدي ذلك إلى مزيد من نفوذها. ومن الطبيعي أن يكون العامل الحاكم لموقف الصين تجاه إيران هو موقف الولايات المتحدة. فقد سارت الصين بمهارة دبلوماسية في أوقات تتعاون مع إيران في أى شيء يتعارض مع سياسة الولايات المتحدة، وفي مواقف أخرى تتعاون فيها مع الولايات المتحدة ، في أمور تتنافى مع السياسة الإيرانية. فحتى وقت قريب ، تمكنت الصين من مجابهة محاولات أمريكية لفرض عقوبات اقتصادية على إيران، وقاومت جهودًا ترمي إلى عزلة إيران بعد وصفها بأنها " إحدى محاور الشر" من جانب إدارة بوش .

غير أن علاقات الصين الاقتصادية مع إيران بدأت في النمو ، لكن مفتاح الازدهار لهذه العلاقة تجسد في قيام الصين بتصدير التكنولوجيا العالية، والخدمات الهندسية ، والأسلحة لإيران في مقابل النفط والمواد الخام ، حيث بلغت التجارة بين البلدين حجمًا متسارعًا أثناء عقد التسعينيات من القرن الماضي .

وفي عام ٢٠٠٣ أقامت شركتان صينيتان للسيارات مصانع للسيارات في إيران . وبعد ذلك ، تفاوضت الصين على إبرام صفقة كبرى للنفط في ٢٠٠٤. ولقد نتج عن ذلك أن أصبحت الصين واحدة من أكبر حائزى الحصص ، وواحدة من أكبر المستثمرين في صناعات النفط الإيرانية ، إضافة إلى أن إيران تعتبر واحدة من أكبر مصادر الإمداد بالنفط للصين. وفي عام ٢٠٠٧ وقعت اتفاقا كبيرًا لتطوير بئر النفط الإيراني العملاق " يادافاران" (Yadavaran).

ويعتبر مستقبل العلاقة الصينية مع إيران وكأنها مفتوحة الطرفين – ذلك أن

الصين بحاجة لأن تحتفظ بعلاقات حسنة مع الولايات المتحدة، إذ ليس هناك من حساسية أمريكية بأكبر من حساسيتها تجاه الشرق الأوسط ولذلك فإن الولايات المتحدة ترى في إيران كقوة بديلة لها في المنطقة ، وترى فيها أيضًا تهديدًا كبيرًا لمصالحها في المنطقة ، ومن هنا تأتي عداوتها الطويلة لإيران ، وعلى المدى الطويل ، فمن المحتمل أن تشعر الصين بشيء من السعادة ، أن ترى إيران وهى تلعب دورًا كبيرًا في المنطقة ، على أساس أنه سوف ينقضى في أغلب الاحتمالات زمن طويل أمام الصين ذاتها لكى تقوم بمثل ذلك الدور الذي تحتاجه كل قوة عالمية لحلفاء لها ، ومن ثم فإن إيران تعتبر الحليف الطبيعي للصين في الشرق الأوسط .

لكن هناك سيناريوهات أخرى طويلة الأمد. فالأولوية الأولى أمام الصين هى تايوان التي تعتبر عقبة كبرى في سبيل إعادة الوحدة مع الوطن الأم بسبب الدعم الأمريكي العسكري للجزيرة. ويعتبر السبب الأكثر احتمالا للنزاع بين الصين والولايات المتحدة ممثلاً في تايوان. وفي حالة حدوث حرب ، فسوف تكون الصين شديدة القلق حول تأمين خطوط إمدادها بالنفط خاصة عبر مضيق ملقا (Malacca Strait)، وبحر الصين الجنوبي، والذي يمكن اعتراضه من جانب التفوق الجوي الأمريكي ، وكذلك القوة البحرية الأمريكية أيضًا . وفي مثل هذه الاحتمالات يكون باستطاعة إيران في نقطة ما تقديم الإمكانية لنقل النفط إلى الصين بطريق بري من غرب آسيا إلى وسطها.

ولكن هناك سيناريو يمكن حدوثه مستقبلاً ، وتحديدًا لو أن الصين والولايات المتحدة قد أمكنهما التوصل إلى نوع من التفاهم المتبادل متضمنًا ذلك تايوان وإيران ، بحيث تتفق الولايات المتحدة على التوقف عن إرسال أسلحة إلى تايوان ، كما يفعل المتطوعون الصينيون نفس الشئ بالنسبة لإيران . فالواقع أن الصين سوف توافق على التضحية بإيران في سبيل تايوان التي تعد بالنسبة لها أكبر أولويات سياساتها الخارجية . ومثل هذه الصفقة سوف تمثل نوعًا من الاعتراف الضمني بأن شرق آسيا هو بمثابة منطقة نفوذ صينية ، وأن الشرق الأوسط

سوف يظل منطقة نفوذ أمريكى.[1]

(٧) حينما تفكر الصين تفكير الكبار

هذه التغيرات التي تمت الإشارة إليها ، سواء في المحتوى ، أو الطبيعة ، أو التنفيذ لسياستها الخارجية ، عبر العقد الزمنى أو العقدين الزمنيين ، تمثل تحولاً جذريًا عن أسلوب تناول الصين المتصلب الضيق بالنسبة للشؤون العالمية في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي .

فخلال السنوات القليلة الماضية ، وخاصة من ١١ سبتمبر ٢٠٠١، كانت كتابات الإستراتيجيين الصينيين قد بدأت تعكس تحولاً هامًا في نظرتهم للنظام الدولي ودور الصين من خلاله . وعلى سبيل المثال ، فإن هناك عديدًا من المقالات الاستفزازية قد ظهرت في الصحف الصينية الكبرى تنادي بتخلي الصين عن عقلية من كانوا ضحايا السيطرة على العقلية الصينية نتيجة الاستبداد الذي حاق بهذه الحضارة القديمة ، ورفض الكتاب التأكيد المستمر طيلة ١٥٠ عامًا من العار والإذلال باعتبار أن ذلك من قبيل ما رأوه من خلال هذا المنظور لمكانهم في الشؤون الدولية الحديثة ، وإن كان الرئيس "جيانج" قد ساند هذه النظرة المفعمة بالأمل في المستقبل في حديث له في يوليو ٢٠٠١ لدى الاحتفال بالعيد الثمانين للحزب الشيوعي . وصار هناك عدد من المحللين المؤثرين للترويج لشعار " عقلية الدولة العظمى". وهذه الأفكار سوف تحل محل فكرة أن الصين كانت قد مرت في فترات تاريخية سابقة بحالات من القهر، ثم عادت بثقة تولدت نتيجة أكثر من عقدين من الزمان من النمو الاقتصادي المبهر إلى ماترنو إليه من وضع على المستوى العالمي .

ولقد كان الامتداد الطبيعي لهذه الأفكار قد لقى تأكيدًا متعاظمًا لما يمكن تسميته " علاقات الدولة الكبرى " باعتبارها الأولوية الأولى للسياسة الخارجية الصينية ، بل إن كثيرين من الإستراتيجيين الصينيين يرون بشكل متزايد أنه من

---

(1) M. Jacques, Ibid. P.P. 333 – 335

مصلحة بلادهم أن تكون قوة كبرى أقل ارتباطا بتلك الدول التي في طريقها نحو النمو. وهذا التغير في حد ذاته يمثل تحولاً فكريًا عما كان عليه الحال في التسعينيات من القرن العشرين حيث كان الكثيرون من الصينيين لا يزالون يرون أمتهم وقد حرمت من حقها المشروع بواسطة العولمة، والقوى الكبرى، والمحافل المتعددة الأخرى.

وأصبح المسؤولون الصينيون يتحدثون الآن صراحةً حول الحاجة لتقاسم المسؤوليات العالمية مع القوى الكبرى – والتى تضم الصين، وترى الصين في هذه التغيرات انعكاساتها حينما صار الرئيس الصينى "هوجينتاو" أول قائد صيني يحضر اجتماعًا لمجموعة الثمانية للدول الصناعية الكبرى (G-8) في يونية ٢٠٠٣ (ولو بصفته عضوًا محاورًا (Dialogue Member). [1]

وفي النهاية، وهنا عنصر كاشف حول هذا التحول الفكري – وهو القبول – ولو بشيء من المرارة – بأن العالم في هذه الآونة عالم ذو قطب واحد، وأن تفوق الولايات المتحدة قد يستمر لعقودٍ قادمة من الزمن.

وعلى الرغم من أن القادة الصينيين يقرون الآن أن بلادهم ليس بوسعها تحدي الولايات المتحدة، والسيطرة على العالم في أى وقت قريب. فقد نشر أحد مشاهير السياسة الخارجية الصينية مؤخرًا مقالةً يفرق فيها بين القوة القائدة، والسلوك القيادي، مقترحًا بأنه يمكن للصين أن تقبل النوعية الأولى ولكن لا تقبل الثانية. ويقول هذا العالم المشهور أن السلام والتنمية، وأهداف الصين الاقتصادية يمكن أن تظل مزدهرة في عالم ذي قطب واحد. ومن العجائب الكبرى التي يعترف بها كثير من الصينيين أن الاقتصاد الصيني قد إستفاد إستفادة كبيرة من التفوق العسكري للولايات المتحدة، والجهود الأمريكية للحفاظ على الاستقرار في آسيا خلال العشرين سنة الماضية.

الصين والولايات المتحدة

لقد نقل عن نابليون قوله " دع الصين نائمة، لأنها لو استيقظت فسوف تهز

(1) Evan S. Medeinos. Taglor Fravel, Foreign Affaires Ibid. P.P. 31-32.

العالم". وظلت الصين نائمة ما يقرب من مائتى عام وكأنها أخذت بمقولته لتظل بمثابة ميدان تتنافس عليها القوى الكبرى لتحقيق طموحاتها .

وحينما ينظر المؤرخون إلى الوراء للعقود الماضية من القرن العشرين ، فلربما يشيرون إلى عام ١٩٧٩ باعتباره عامًا فاصلاً. ففي ذلك العام كما سبقت الإشارة قام الإتحاد السوفييتي بغزو أفغانستان لكى يحفر قبره كقوة عظمى ، كما أنه في نفس ذلك العام قامت الصين بإصلاحاتها الاقتصادية وإن كانت الإشارة إلى ذلك جاءت في ١٩٧٨ لدى الاجتماع الحادى عشر للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، فقبل الاجتماع الرسمي قام " دنج تشياو بنج" الرئيس الجديد بإلقاء حديث أصبح فيما بعد أهم ما حدث في تاريخ الصين الحديث مستحثًا النظام على التركيز على التنمية الاقتصادية ليدع الحقائق — وليس الأيديولوجية توجه المسيرة بقوله المشهور " إنه لا يهم أن تكون قطة سوداء أم قطة بيضاء ، طالما أنه باستطاعتها أن تصيد الفأر ، إذن فهى قطة جيدة". ومنذ ذلك الحين فإن الصين فعلت نفس الشيء متخذه لنفسها طريق التحديث .

لقد كانت النتيجة مذهلة ، فقد نمت الصين بما يزيد على ٩٪ سنويًا لنحو ثلاثين سنة ، وكان هذا أسرع معدل حدث لاقتصاد كبير في التاريخ . وفي نفس هذه الفترة انتقل نحو ٤٠٠ مليون صيني خارج نطاق الفقر . وكانت تلك أكبر حركة تقليل لمستوى الفقر في أى مكان وأى زمان . وزاد دخل أى فرد صيني بذلك حوالي سبعة أضعاف .

وبذلك تكون الصين قد حققت أحلام كل بلد ينتمي إلى العالم الثالث .. وفي ذلك يقول الاقتصادي " جيفري ساش " (Jeffrey Sachs):" إن الصين هى أكبر قصة تنمية ناجحة في تاريخ العالم ".

ومن ناحية أخرى ، فإن الصين تعتبر أكبر منتج في العالم للفحم والصلب ، والأسمنت. وهى أكبر سوق لأجهزة التليفون في العالم . ونمت صادراتها للولايات المتحدة بنسبة ١٦٠٠ر١٪ خلال الخمسة عشر سنة الماضية . وفيما يذكر أنه في قمة الثورة الصناعية ، كان يطلق على بريطانيا :" الورشة الصناعية في العالم

". وهذا اللقب ينطبق اليوم على الصين . فهى تقوم بصنع ثلثى آلات التصوير في العالم ، وأفران الميكروويف، وأجهزة (DVD).

وأهم من ذلك أن الصين أصبحت أكبر الحائزين على المال في العالم ، فرصيدها من العملات القابلة للتغيير بلغت واحدًا ونصف تريليون دولار، أى أكثر بنسبة ٥٠٪ عن اليابان. وثلاثة أضعاف جملة ما يحتفظ به الإتحاد الأوروبي بكامله . وحيازة مثل هذه الاحتياطيات الهائلة رغم ما قد يقال أنه سياسة لا تتسم بالحكمة – لكنها تنهض دليلاً مؤكدًا على تمتعها بالمرونة في مواجهة أية صدمات أو أزمات . وتعتبر من ناحية أخرى أكبر دولة استطاعت بناء أسرع اقتصاد كبير في العالم، وأكبر صانع، وثاني أكبر مستهلك. وأكبر مدخر ، ولربما ثاني أكبر إنفاق على الشؤون العسكرية .

لكن الصين قد لا تحل محل الولايات المتحدة كقوة عظمى عالمية . فليس من المحتمل أن تتجاوزها على أى مقياس – عسكري كان أو سياسي ، أو اقتصادي على مدار عدة عقود ، دعك عن السيطرة على كافة المجالات ، ولكن بالنسبة لموضوع تلو الموضوع، فإنها قد أصبحت ثاني أكبر أهم بلاد العالم تضيف عناصر جديدة كليةً للنظام العالمي.[1]

ومما يُحسب للصين ، مقدرتها على اختصار مدة عملية التصنيع التي استغرقتها في الغرب ، حيث استغرقت مائتى عام مقارنًا بثلاثين عامًا فقط للصين .. ومن ناحية أخرى ليس للصين سياسة خارجية أو بالأحرى، فإن إستراتيجيتها نحو التنمية كانت هى إستراتيجيتها الكبرى كعنصر هام من عناصر تنميتها لأنها كانت ترغب في الوصول إلى أكبر أسواق العالم من ناحية ، وإلى التكنولوجيا الأكثر تقدمًا من ناحية أخرى . ففي مجلس أمن الأمم المتحدة كانت الصين عادة تصوت لصالح أو على الأقل تمتنع عن التصويت بالنسبة لمشروعات القرارات التي تحظى بدعم أمريكي .

(1) F. Zakaria, The Post American World. P.P. 91-93

وإذا تعرضنا للوضع السياسي الداخلي، فنجد أن الحزب الشيوعي الصيني وقد تخلى عن الشيوعية أصبح يستخدم القومية الصينية كعامل مهم لجمع صفوف الأمة الصينية، ولذلك فما قيل عن أخطاء ارتكبها "ماو تسي – تونج"، فإنه يظل زعيمًا وبطلاً صينيًا لأنه في نظرهم حارب اليابانيين، ووحّد البلاد.

وحين نتحدث عن الجيش الصيني، تجدر الإشارة إلى أن الصين تدعم جيشها وتخصص له ميزانية يتزايد معدلها بنسبة ١٠٪ أو أكثر كل سنة – لكنها تنفق مع هذا جزءًا مما تنفقه الولايات المتحدة في هذا المجال يبلغ نحو ١٠٪ مما تنفقه وزارة الدفاع الأمريكية سنويًا. فلدى الولايات المتحدة إثنتا عشرة حاملة طائرات مزودة نوويًا (Nuclear-Powered) يمكن لكل واحدة منها أن تضم خمسة وثمانين نفاثة هجومية. ولدى الصين عشرون صاروخًا نوويًا يمكنها الوصول إلى شواطئ الولايات المتحدة طبقًا لتقديرات وزارة الدفاع الأمريكية، لكن هذه الأسلحة الصينية "الصغيرة والمجهزة" لا تقوى على التصدي لضربة استباقية"، وفي الجهة الأخرى، فالولايات المتحدة بالمقارنة، لديها نحو تسعة آلاف رأس نووية، ونحو خمسة آلاف رأس حربية إستراتيجية".

ويدرك الصينيون جيدًا كيف أن ميزان القوى بينهم وبين الولايات المتحدة غير متكافئ. لكن التهديد الصيني من ناحية أخرى ليس مماثلاً "لإتحاد سوفيتي آخر". لذلك فإن الصين من المحتمل أن تظل "قوة عظمى غير متماثلة "(Asymmetrical Superpower)، وإن كانت لاتفتأ تبحث عن أمور متطورة لإزالة هذا التفوق العسكرى الأمريكي.[1]

مشكلة تايوان:

(١) جذور المشكلة:

في بداية عام ١٩٤٧ كان جيش "الكومنتانج" قد أُنهكت قواه، وصار بمثابة

---

(١) F. Zakaria, Ibid. P. 126.

الجثة الهامدة ، وأخذ يتقهقر على كافة الجهات أمام الزحف الشيوعي الصيني المنتصر. وترك " تشاينج كاى شيك" رئاسة الجمهورية كما تمت الإشارة. وبذلك انتهى دور حزب الكومنتانج في الصين " الأم"، ولاذ تشيانج كاى شيك ، ومن تبقى مخلصًا له من أتباعه إلى جزيرة فرموزا التي صارت منذ ذلك الحين مقرًا لحكومة الصين الوطنية .

وحقيقة الأمر ، فإن فرموزا أو " تايوان" ، ومعها مجموعة من جزر البسكادور التي تبلغ مساحتها الكلية ٣٥ر٩٦٠ كيلو مترًا مربعًا في مواجهة أرض الصين "الأم" بمثابة نوع من عدم القبول بالأمر الواقع الجديد الذي أوجده الشيوعيون ، وأصبحت فرموزا بالنسبة للولايات المتحدة بمثابة حلقة هامة في سلسلة حلقات مضادة للشيوعيين أقامتها الولايات المتحدة في المحيط الهادي. وعلى هذا الأساس ، وبهذه الصفة فإن المعونة المالية والاقتصادية الأمريكية لا تتوقف طالما ظلت هذه الحلقة نافعة لتحقيق الهدف الأمريكي.(١)

وظلت مشكلة تايوان لما يزيد على ربع قرن أكبر المشكلات الثنائية في سبيل تحسين العلاقات الصينية – الأمريكية ، ولا تزال هى العقبة الرئيسية في إتمام تطبيع العلاقات بين واشنطن وبكين وإن صارت حدتها تقل بعد تطورات الحداثة للصين كما سوف نجده لاحقًا ، وعلى الرغم من أن جزيرة تايوان قد استولى عليها اليابانيون في عام ١٨٩٥ وأداروها كمستعمرة طوال خمسين عامًا بعد ذلك التاريخ ، فإن اتفاق الدول الأوروبية الكبرى الموقع في القاهرة ، وفي بوتسدام عقب الحرب العالمية الثانية قد وعد بإعادة الجزيرة إلى الصين .

وفي عام ١٩٤٥ قامت حكومة الصين الوطنية بالسيطرة على تايون. وما أن شارفت الحرب الأهلية في الصين "الأم" على الانتهاء حتى فرت فلول نظام "الصين الوطنية" إلى تايوان ، وأعد الشيوعيون الصينيون أنفسهم لغزو الجزيرة –ولكن بفضل تدخل الولايات المتحدة فقط أمكن منع سيطرة الشيوعيين عسكريًا على الجزيرة. ومنذ ذلك التاريخ، كانت تصريحات المسؤولين

(1) Dubarbier, G. La Chine Moderne. P.P. 120-121

الأمريكيين عبارة عن تحدٍ واضح لمدى أحقية الصين الشعبية في الجزيرة. ولقد كان قرار الحكومة الأمريكية في يونيو ١٩٥٠ بوضع الأسطول السابع في مضيق تايوان الذي يفصل تايوان عن الوطن الأم يُشكل أزمة كبرى لم تراع فيها واشنطن الاعتبارات القانونية.

وقد سبق أن رأينا في الفصل الثاني أن العلاقات بين الصين والولايات المتحدة قد مرت بتغييرات مستمرة . فأثناء الحرب الكورية ، وبعد انقضائها مباشرة ساندت الولايات المتحدة نظام حكم " الصين الوطنية" باعتبار ذلك نوعًا من التحدي لجمهورية الصين الشعبية . ولكنها ما لبثت أن باشرت الضغط على الصين الوطنية كى لا تقوم بأية أعمال عسكرية ، ومع ذلك فعند اشتداد الأزمة ضاعفت الولايات المتحدة من دعمها " للوطنيين " خصوصًا بعد أن وقعت معهم معاهدة دفاعية عام ١٩٥٢ .

وحثيثًا ، حثيثًا ، مضت الولايات المتحدة في إتباع سياسة الاعتراف بوجود حكومتين للصين بطريق الأمر الواقع (De Facto)، مما جعل مخاوف الصين الشعبية تتزايد من أن يكون ذلك سبيلاً إلى إعلان تايوان استقلالها قانونيًا . على أن واشنطن تعمدت من جهتها عدم اتخاذ موقف صريح في هذه المسألة ، وحينما قررت كل من بكين وواشنطن العمل على استكشاف إمكانيات الإنفراج بينهما ، تخلت بكين عن إصرارها على أن يتم حل مشكلة تايوان أولاً ، وقبل الإقدام على أية خطوة نحو تحسين العلاقات بين البلدين ، رغم أنها كررت مطالبها الأساسية دون تغيير . وعمدت الولايات المتحدة في حقيقة الأمر إلى التخلي عن اتخاذ سياسة الاعتراف بحكومتين للصين مع الاستمرار في علاقتها مع حكومة الصين الوطنية .

وعلى أية حالٍ ، فإنه لم يكن هناك اتفاق صريح في عام ١٩٧٢ في ظل زيارة الرئيس نيكسون لبكين — عما سوف يكون عليه وضع تايوان في المستقبل بعد حدوث تلك الانفراجة.

ويهمنا الآن أن نشير إلى أن هناك عوامل كثيرة أخذت تشكل مواقف الصين

الشعبية تجاه تايوان . فهناك العاطفة القوية نحو الأرض التي أشتهر بها الصينيون ، ذلك أن الصين كانت ترى أن الجزيرة ما هى إلا أرض صينية غير محررة ، والأكثر أهمية من ذلك هو أن الصين كانت تصر عبر القرون على أنه ينبغي توحيد كافة الأراضي التي يمكن اعتبارها أرضًا صينية .

ومن جهة أخرى ، فإن تايوان منذ عام ١٩٤٩ كانت تشكل نظام حكم منافس ظل يتحدى شرعية نظام بكين ، على الرغم من أنه عبر السنين لم يعد نظام حكم الصين الوطنية يشكل خطرًا ماثلاً أمام الصين الشعبية . لكن تايوان كانت تستخدم كقاعدة للتحرش ، والأعمال الاستفزازية كما حدث خلال الخمسينيات والستينيات . كما كانت الصين تنظر إلى تايوان على أنها تمثل رمزًا للتدخل الغربي في شؤونها، وكانت تايوان عبارة عن قاعدة عسكرية للأمريكيين لتنفيذ سياسة الاحتواء ضد الصين الشعبية قبل الانفراج الذي تم في عام ١٩٧٢ .

على أنه يلاحظ أن كثيرًا من هذه العوامل قد أصبح الآن أقل أهمية من ذي قبل ، فقد أصبح التحدى من جانب نظام " الحكومة الوطنية" لبكين غير ذي أثر —خصوصًا بعد أن توارى " تشاينج كاى شيك" من مسرح الأحداث ، كذلك نجد أن الولايات المتحدة قد سحبت قواتها من تايوان ولم تعد تنظر إليها إذن كقاعدة عسكرية بهدف احتواء الصين . وعلى مر السنين ، تغير موقف الولايات المتحدة بالنسبة لتايوان. فعلى الرغم من الإستثمارات الأمريكية هناك ، فإن الارتباط العاطفي الذي كان يشعر به كثير من الأمريكيين تجاه حكومة الصين الوطنية قد خبا، ولم يعد نظام حكم الصين الوطنية رمزًا أيديولوجيًا للنضال في وجه الشيوعية.

وعلى آية حالٍ ، فعلينا أن نتذكر أن بيان " شنغهاى" قد تضمن أنه ربما نظرت الولايات المتحدة بعين الاعتبار" إلى فكرة توحيد الصين" إذا ما أمكن إتمام ذلك بطريقة سلمية .

ومنذ عام ١٩٧٢ صار القادة الصينيون في بكين يؤكدون رغبتهم في توحيد الصين توحيدًا سلميًا . وقد عبروا عن أملهم في أن يجري حل هذا الموضوع على

الأمد الطول. وينبغي القول إذن أن المصير السياسي لتايوان قد يتوقف على سير الأوضاع في الجزيرة ذاتها، وفي مواقف أهلها، وقرارات زعمائها . فمن المعلوم أن الجزيرة يفصلها عن أرض الصين " الأم" نحو مائة ميل من المياه ، كما أن حكومتها تحكم جزيرة كبيرة منتجة (بما في ذلك أيضًا جزيرة البسكادور ، والجزر الصغرى الأخرى) وسكانها نحو ستة عشر مليونًا من البشر ، وهي في ذلك تفوق غالبية بعض الدول المنضمة إلى الأمم المتحدة من الناحية السكانية ، وصحيح أن السكان جميعهم من عنصر صيني ، ولكن أكثر من ثلاثة عشر مليونًا هم من أهل الجزيرة نفسها .

وكما سبق ذكره ، فإن اليابانيين حكموا الجزيرة على مدى خمسين سنة ، وكان حكمهم قمعيًا من الناحية السياسية ، وكانوا يسيطرون على المراكز الهامة في الجزيرة ، غير أن اليابانيين رغم نظامهم السياسي القمعي عملوا على تطوير الجزيرة بنجاح هائل من الناحية الاقتصادية والفنية – الأمر الذي جعل تايوان أكثر حداثة وتمتعًا بكثير من وسائل التطور التكنولوجي عن بقية أجزاء الصين . كذلك ترك اليابانيون بصماتهم الثقافية على السكان ، لذلك فإن خمسين عامًا من الحكم الياباني جعل تايوان تشعر بالاختلاف عن بقية الصين " الأم".

إن التطور الاقتصادي الذي أصابته تايوان أمر مثير ، فإن النمو الاقتصادي قد عمل على تحسين مستوى المعيشة بشكل ملفت للنظر بما عمق الهوة الاجتماعية بين تايوان ، والصين الشعبية .

ففي الخمسينيات بدت الجزيرة ، وكأنها سوف تظل تابعة للولايات المتحدة إلى ما لانهاية . ولكن بحلول الستينيات صارت هناك انطلاقة اقتصادية كبرى – إذ على مدار عشرة أعوام أو يزيد – زاد معدل إجمالي الناتج القومي بنحو ١٠٪ سنويًا زيادة حقيقية بما جعله يساوي ضعف المعدل الذي تحقق بالنسبة للصين الشعبية في الستينيات ومن ثم أصبح الناتج القومي الإجمالي في تايوان نحو ٢ر٢ مليار دولار عام ١٩٦٣ ، ثم قفز إلى ٣ر٩ مليار دولار عام ١٩٧٣ . وعلى ذلك يكون ما خص الفرد التايواني من الدخل القومي قد قفز بسرعة هائلة . وهو في

الآونة الراهنة يزيد على نحو ٥٢٣ دولارًا مقارنًا بما كان عليه عام ١٩٦٣ وهو ٢٤٩ دولار للفرد وعلى هذا النحو يكون مستوى نصيب الفرد من الدخل واحدًا من أعلى النسب في آسيا ، وهو في أقل القليل ضعف نصيب الفرد في الصين ".[1]

وقد يكون التفسير لهذا الازدهار الاقتصادي راجعًا إلى ضخامة المساعدات الأمريكية التي تلقتها الجزيرة في أيامها الأولى. ففي خلال خمسة عشرة عامًا فقط بلغت هذه المساعدات نحو ٥ر٤ مليار دولار ، كان ثلثها عبارة عن مساعدات اقتصادية ، والثلثان عبارة عن مساعدات عسكرية ، ولكن لا يمكن بحال من الأحوال التقليل من أهمية مخططي نظام الحكم ، ورجال الإدارة – على أن الولايات المتحدة أنهت ما تقدمه لتايوان من منح عام ١٩٦٥ ، كذلك أنهت مساعداتها العسكرية التي بلغت قيمتها في عام ١٩٦٧ نحو ٢٩٣ مليون دولار.[2]

أما من الناحية العسكرية فإن لدى تايوان جيشًا يبلغ عدده نحو نصف مليون جندي ، كما أن لديها عددًا من الطائرات الحديثة ، إلى جانب وحدات بحرية وقوات ضخمة من المشاة.

(٢) تايوان المعاصرة

لقد اتبعت تايوان في انفتاحها على الخارج للاستفادة من ظاهرة العولمة (Globalization) ثلاثة إستراتيجيات أثبتت نجاحها في طرح ذاتها وتأكيد ثقتها بنفسها وثقة العالم الخارجي فيها .

فأما أولى هذه الإستراتيجيات ، فهي اتخاذ الدبلوماسية الواقعية في تفاعلاتها مع العالم الخارجي، وتوكيد ذاتها . وكان صاحب هذه الدبلوماسية هو " تشيانج شنج كوو" الرئيس التايواني الثاني ، وابن تشيانج كاى شيك. وكانت هذه السياسة الواقعية بمثابة رد فعل على سحب الدول والمنظمات الدولية اعترافها

(1) Bannett A.D., Chiana and The Major Powers in East Asia. P.244.

(1) Bannet A.D. Ibid. P.245 .

بتايوان مراعاةً للصين الشيوعية وقبولها عضوًا في الأمم المتحدة .

ومضمون هذا المبدأ هو ضرورة أن تكسر تايوان عزلتها ، وحرمانها من العلاقات الدبلوماسية الرسمية. ففي عام ١٩٩٩ أكد الرئيس التايواني الجديد (لى تنج هويه) أهمية إقامة صلات مع العالم الخارجي حتى تثبت تايوان وجودها قِبله. غير أن تايوان لم تستفد من ذلك فقط فك العزلة السياسية عنها ، وإنما كانت هناك أهداف اقتصادية كبرى . فقد كانت تايوان في ذلك الحين بحاجة إلى جذب استثمارات أجنبية ، لتمويل عملية الانتقال الاقتصادي التايواني إلى مرحلة التصنيع عالي المهارة . ولم يكن أمامها لبلوغ هذا الهدف سوى تعميق روابطها بمختلف الأطراف العالمية التي يمكن أن تقدم لها هذا العون. وقد استمرت إستراتيجية الدبلوماسية الواقعية هذه خلال التسعينيات تحقيقًا لأهداف اقتصادية متجددة ، ولكى تصبح تايوان دولة قادرة على المنافسة مع العالم الخارجي .

وكان نجاح هذه المنافسة يستلزم استعانة تايوان بالخبرات العالمية واستخلاص أعظم قدر من إيجابياتها . ومن ناحية أخرى ، استخدمت تايوان الإستراتيجية الثانية التي ابتدعتها والتى ترمى إلى إبراز التجربة التايوانية في النمو الاقتصادي والسياسي باعتبارها تجربة فريدة في نوعيتها، حتى يبرر هذا التفرد الاعتراف بها يومًا كدولة مستقلة في نهاية المطاف. ومن المعروف، أن تايوان كانت من أوائل دول العالم التي مارست نموذج النمر الأسيوي وتبعها باقي النمور ذلك النموذج الذي تشرف فيه الدولة على نقل النشاط الاقتصادي نحو التعامل وفقًا لقوانين السوق الحرة .

ومنذ عام ١٩٥١ ، كانت حكومة " تشيانج كاى شيك" تعد نظامًا للإنتخابات المحلية ، تطور تدريجيًا إلى نظام للانتخابات على المستوى القومي في أوائل الثمانينيات ، كما تم السماح للأحزاب السياسية بممارسة نشاطها السياسي — إلا أن " تشيانج شنج كو و" ، كان أول من اهتم بهدف تشجيع التعامل مع تايوان بصفتها دولة مستقلة. وقد أثبتت هذه التجربة جدواها إلى حد بعيد في

تهيئة الفرصة أمام تايوان لإقامة علاقات اقتصادية فعَّالة مع العالم الخارجي.

ثم تأتي بعد ذلك الإستراتيجية الثالثة التي إتخذتها تايوان للتعامل مع الإنفتاح على الخارج ومعالجة المشكلة الصينية . وتعود هذه الإستراتيجية إلى مرحلة حكم " تشاينج –شنج كو و" (١٩٧٨ –١٩٨٨). وتتمثل هذه الإستراتيجية في إقامة شبكات من الصلات الوثيقة بين تايوان والصين "الأم" لكى تكون بمثابة عامل مساعد في الاقتراب من الصين تدريجيًا من وجهة النظر التايوانية ، إلى جانب حث الصين على الالتزام بأسلوب التفاوض السلمي ، وإغراء الصين " الأم" على المشاركة بديلاً عن التنافر .

وقد لجأت تايوان إلى مجموعة أخرى من السياسات في سبيل وضع إستراتيجيتها موضع التنفيذ ، وخاصة لدى محاولة توثيق علاقاتها مع المنظمات الدولية الحكومية ، كان منها مثلًا استخدام تسمية " تايبيه –الصين " أو " تايبيه الصينية " ، كما أنها تقدمت مثلًا إلى منظمتى التجارة العالمية ، والجات" لطلب العضوية بوصفها " منطقة جمركية ". والواقع أن لجوء تايوان إلى هذا الأسلوب ، كان بمثابة محاولة منها للتعايش مع الصين في المنظمات الدولية الحكومية ، وتحطيم أسوار العزلة الدبلوماسية التي فرضت عليها من جانب الصين .

كذلك، لجأت تايوان إلى وسائل أخرى مثلما عرف " بدبلوماسية الدولار (Dollar Diplomacy)، قصد تقديم تبرعات مالية ضخمة للمنظمات الدولية ، وكذلك إسهامها بمختلف أشكال المساعدات المادية من منح وقروض، ومشروعات ، مما جعل الصينيين يتهمون تايوان باستخدام أسلوب الرشوة ، لإغراء الدول والمنظمات للاعتراف بها. ومن أمثلة استخدام إسهامها بتبرعات مالية للمنظمات الإقليمية الحكومية انضمام تايوان إلى البنك الأسيوي للتنمية تحت اسم " تايبيه –الصين ". وعندما استفحلت الأزمة المالية الآسيوية في أواخر القرن الماضي ، سارعت تايوان إلى إنشاء ما عرف بالشراكة الاستثمارية لجنوب شرق آسيا (SEAIC) عام ١٩٩٨ ، وقامت بضخ ما يقرب من ملياري دولار لمساعدة دول الآسيان (ASEAN) التي كانت قد أضيرت من تلك الأزمة .

وتنفيذًا للإستراتيجية الثانية – التي تقوم على إبراز تميز التجربة التايوانية – حرصت تايوان في عقد الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي على النهوض بالإصلاحات الداخلية للتكيف مع اندماجها مع العالم الخارجي ، مما يستدعى تقدير العالم للنظام في تايوان ، ومنحها المزيد من فرص المشاركة في مختلف أنشطته .

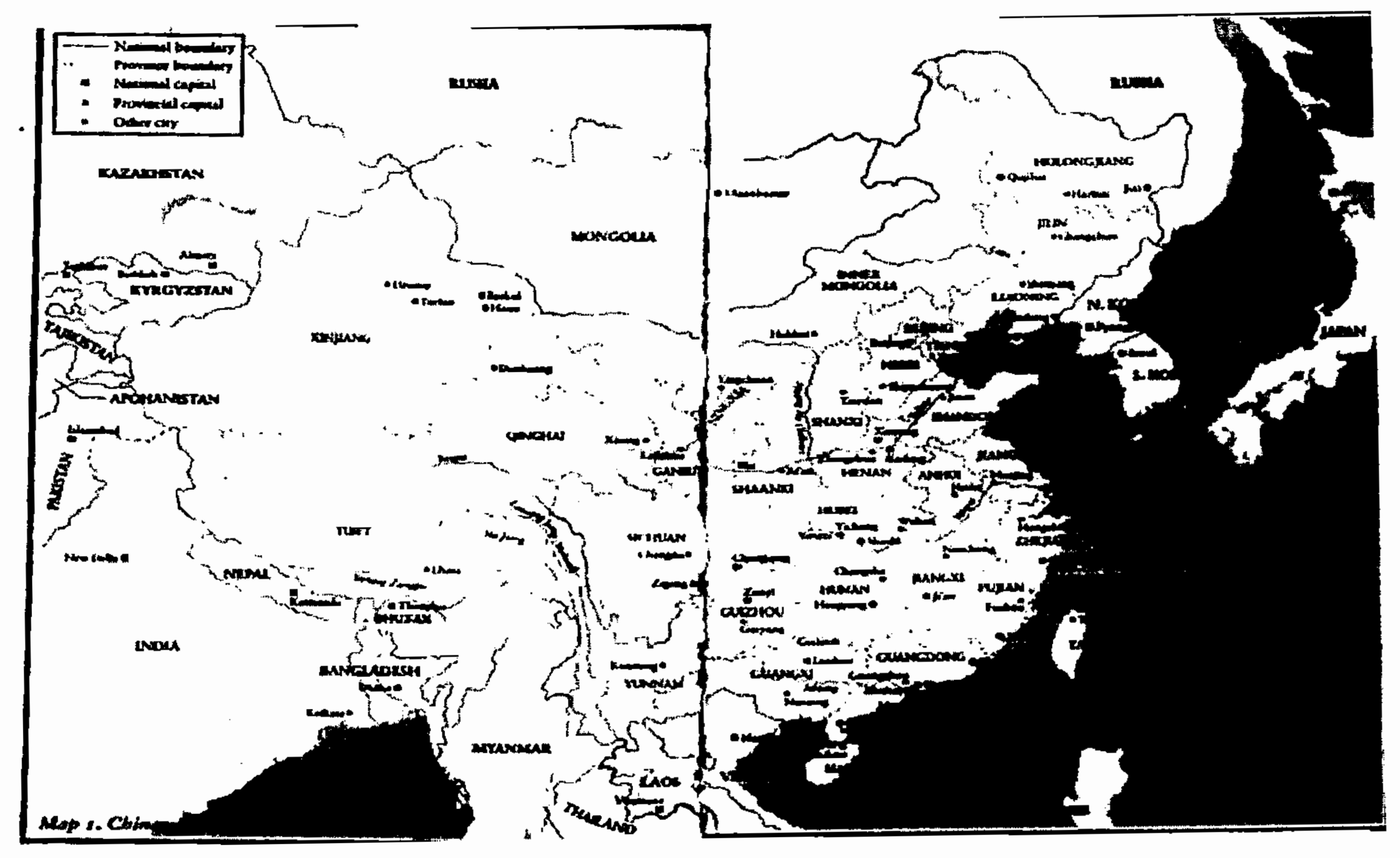
غير أن أهم الإصلاحات الاقتصادية كان ممثلاً فيما قامت به الحكومة التايوانية من إجراء تعديلات على خطة نشاطها الصناعي للدخول به إلى معترك المنافسة الدولية . فقد أمكن لمشروعاتها أن تستفيد تدريجيًا من التكنولوجيات التي تطلبها الشركات العالمية الكبرى. وقد عملت الحكومة دعمًا منها لهذا الاتجاه على تشجيع عمليات البحث العلمي والتكنولوجي حتى تكون على المستويات العالمية . وتحقيقًا لهذا الهدف ، قدمت الحكومة التايوانية إعفاءات ضريبية كبيرة للمشروعات الصناعية التي تنهض بعمليات البحث والتطوير ، كما أعلنت إعفاءها للباحثين من الخدمة العسكرية مثلاً، حتى يتسنى لهم التفرغ الكامل لمهام البحث العلمي ، هذا فضلاً عما تحملته الدولة من إمداد عمليات البحث العلمي على المستوى القومي بنحو ٦٠٪ من حاجاتها المالية مع حلول عام ١٩٩٤.

كذلك قامت الحكومة بإنشاء مجمعات علمية تكنولوجية صناعية ضخمة متخصصة في إعداد المشروعات الصناعية بحاجتها من المعلومات ، والخبرات العلمية ، وعلى رأس هذه المؤسسات " مجمع هنشو للعلوم والصناعة (Hinchu Sience and Industry Park). وقد نجح هذا المجمع في إجتذاب عدد كبير من الشركات المتعددة الجنسيات للإسهام في عملية التطوير التكنولوجي لتايوان حتى أمكنها أن تحتل المركز الرابع في إنتاج دوائر الاتصالات المتكاملة (Integrated)، كما أصبحت تلي الولايات المتحدة ، واليابان في قيمة ما تنتجه من برامج الكمبيوتر ، فضلاً عن تصدرها للمركز الأول في تصدير بعض أجزائه الأخرى كالشاشات وملحقاتها (Computer Monitors).

أما بالنسبة للاستثمارات التايوانية في الصين ، فقد بدأت تايوان في تنفيذها في الصين "الأم" من أوائل الثمانينيات ، وبحلول التسعينيات صارت قيمتها مثارًا للاهتمام . وفي ١٩٩٩ تم تقدير استثمارات الشركات التايوانية في الصين بنحو ٣٠ بليون دولار ، وأعلنت وزارة الشؤون الاقتصادية التايوانية أن ثلاثة أرباع مشروعاتها التي تستثمر في الخارج تنطلق في عملياتها من الأراضي الصينية ، كما أن نحو ٤٠٪ من إجمالي الاستثمارات الخارجية للجزيرة يتم داخل أراضي الصين.

ما يهم هو أن هذه الاستثمارات تركت أثرًا كبيرًا في الاقتصاد الصيني وأدت إلى إيجاد أربعة ملايين فرصة عمل في الصين ، كما ساعدت على قيام الصين بإنتاج سلع بلغت قيمتها ٣٤ بليون دولار بما يمثل نحو ١ر٣٪ من أجمالي الناتج القومي الصيني.[1]

(١) د. حنان قنديل ، مصدر سابق ، ص .ص. ٤٣– ٥٠.


National boundary
Province boundary
National capital
Provincial capital
Other city
RUSSIA
KAZAKHSTAN
MONGOLIA
KYRGYZSTAN
XINJIANG
TAJIKISTAN
AFGHANISTAN
PAKISTAN
QINGHAI
TIBET
NEPAL
BHUTAN
INDIA
BANGLADESH
MYANMAR
LAOS
THAILAND
YUNNAN
SICHUAN
GANSU
SHAANXI
HENAN
ANHUI
HUBEI
HUNAN
JIANGXI
FUJIAN
GUIZHOU
GUANGDONG
GUANGXI
INNER MONGOLIA
LIAONING
HEILONGJIANG
JILIN
N. KO
S. KO
JAPAN
Map 1. China

شكل (1)

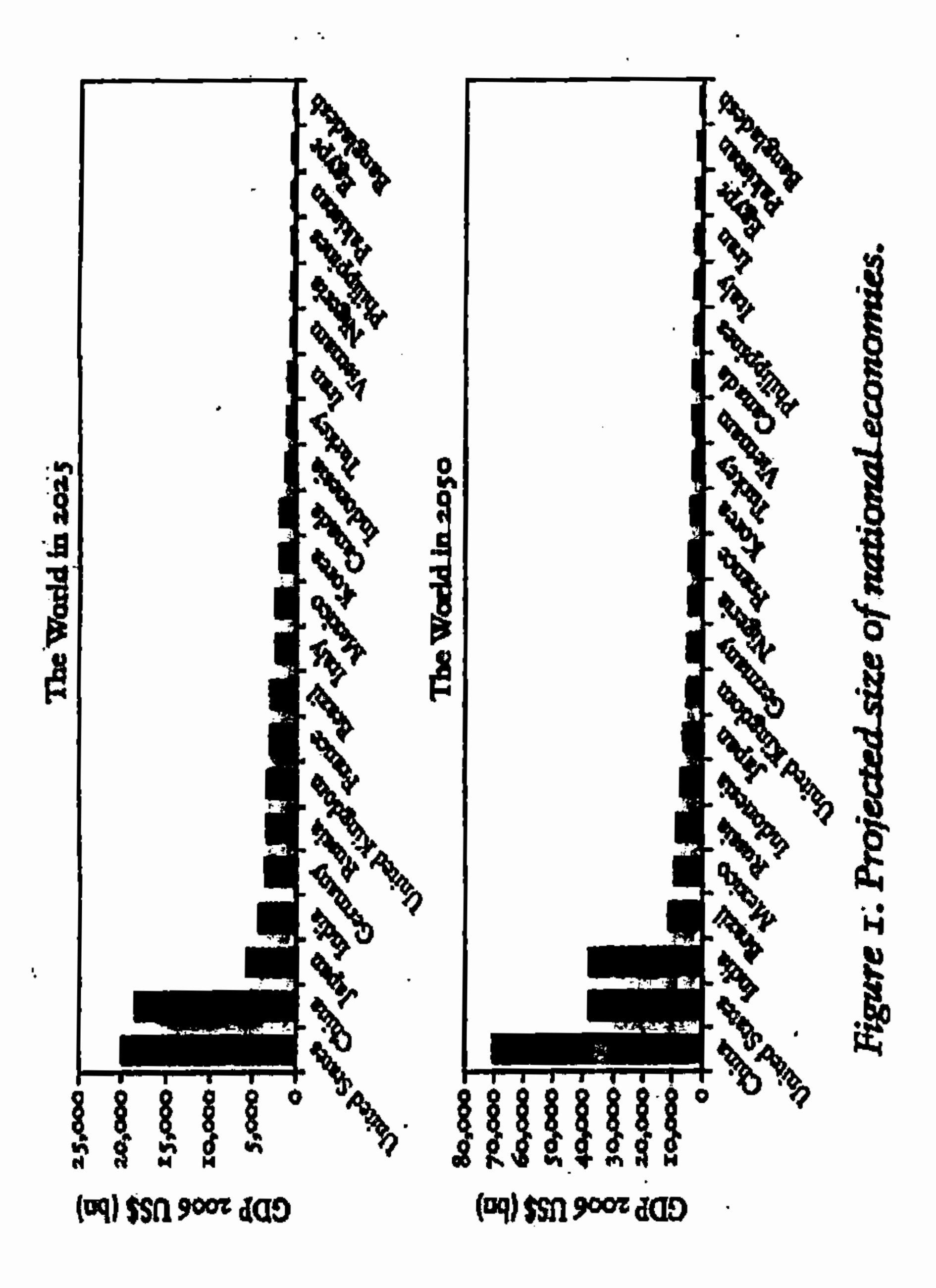


Figure 1: Projected size of national economies.

شكل رقم (٢)

المصدر : Martin Jacques

P. 3

مصادر خاصة بفترة البحث

(أ) المصادر العربية:

(١) السروجي ، محمد محمود ، سياسة الولايات المتحدة الخارجية، الإسكندرية ١٩٤٥ .

(٢) بيرفيت آلان ، يوم تنهض الصين يهتز العالم، ترجمة: هنري زعيب. بيروت ١٩٦٤.

(٣) بين تشيستر، الشرق الأقصى، موجز تاريخي، ترجمة حسين الحوت ، ومراجعة فريد عبد الرحمن (الألف كتاب).

(٤) جوهر ، حسن محمد ، بيومي عبد اللطيف ، الصين مجموعة شعوب العالم ، دار المعارف . مصر.

(٥) حنان قنديل د./ الصين وتايوان والعولمة ، رؤية مقارنة، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي السادس " آسيا والعولمة"، مركز الدراسات الآسيوية ، كلية الاقتصادي والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة، ٢٠-٢١ يناير ٢٠٠١م.

(٦) ديورانت ول ، قصة الحضارة ، الجزء الرابع من المجلد الأول. ترجمة محمد بدران (الطبعة الثالثة).

(٧) رونوفان بيير ، تاريخ القرن العشرين . ترجمة نور الدين حاطوم ، دار الفكر ، الطبعة الثانية.

(٨) زيتون محمد محمود ، الصين والعرب عبر التاريخ ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٤.

(٩) فوزي درويش د. ، الشرق الأقصى ، الصين واليابان ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧.

(١٠) نوار عبد العزيز د./ نعنعي عبد الحميد ، التاريخ المعاصر ، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية .

(ب) المصادر الأجنبية

(1) Barnett, A. D. : Commuist Strategies in Asia 1963.

(2) Barnett, A. D. China and the Major Powers in East Asia. Washington, 1959

(3) Dubarbier, G. La Chine Moderne Paris 1966.

(4) Edwin Dunbaugh, Worl History London, 1969.

(5) Fairbank, J.K. China Bound, A Fifty Yeer Memoir. 1982.

(6) Foreign Languages Press Beijing 1982.

(7) Farid Zakaria The Post American World. New York 2009.

(8) Grousset. R. La Face de L'Asie - Paris 1955.

(9) Kalb, M., Kissinger, ses Origines, sa Formation, son accension, son apoge'e. Paris 1974.

(10) Jacques, M. When China Rules the World, The End of the Western World and the Birth of a New Global Order. Penguin Group (USA) 2009.

(11) Mende, T., La Chine et son Ombre.

(12) Renouvin, P. Les Transfonmation de le Chine et du Japon du Milieux Xix Siecle a' 1922.

(13) Wang, P. N. L'Asie Orientale de 1840 a' Nos Jours Paris 1970.

(14) Warner, M., The Dragon Empress (Life and Time of Tsu-Hesi 1853 – 1908), Milano 1972.